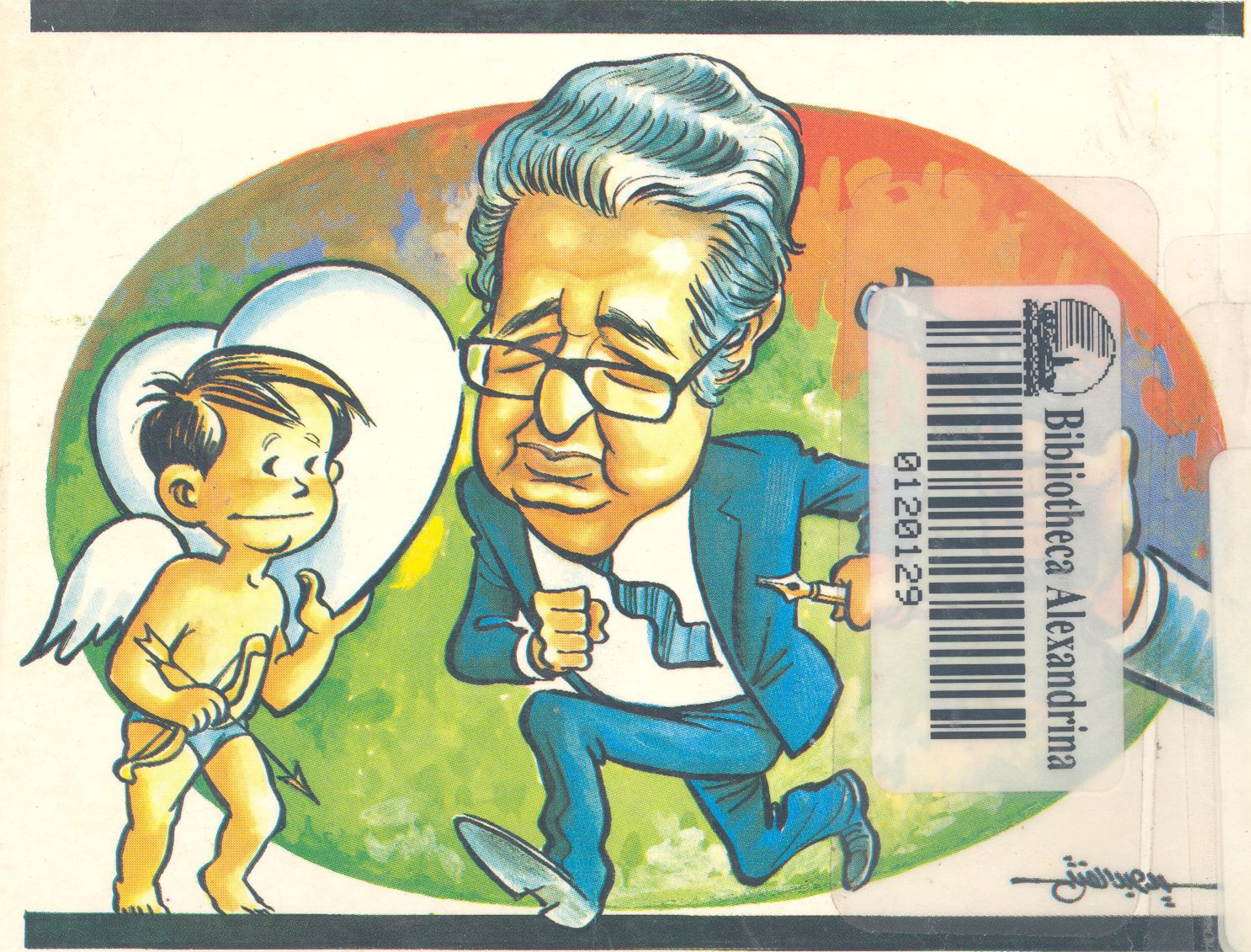
محمود فوزى

إحسان عبد القدوس
بين الاغتيال السياسى
والشغب الجنسى



مكتبة مدبولي

إحسان عبد القدوس

بين الاغتيال السياسي والشغب الجنسي

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

مكتبة مدبولي
٦ - ميدان طلعت حرب - القاهرة

محمود فوزى

إحسان عبد القدوس
بين الاغتيال السياسى والشغب الجنسى

مكتبة مدبولي

« إذا كان الاغتيال السياسي والشغب الجنسي أكثر الجوانب تعلقاً بالأذهان ضفافاً لنهر إحسان عبد القدوس ... فإن هذا الحوار بلا ضفاف ... وبلا حدود أو قيود لنهر الكاتب المتدفق !

محمود فوزي

مقدمة

الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس هو أكثر الكتاب تعرضاً للاغتيالات السياسية . . . خمس مرات ينجو من الاغتيال المدبر بأعجوبة بالغة .

في المرة الأولى كاد أن يدفع حياته ثمناً لمقالاته الملتهبة التي فجّرت الفساد السياسي في مصر قبل الثورة والتي كشف فيها فضيحة الأسلحة الفاسدة واتهم فيها الأمير عباس حليم بالدور الرئيسي في هذه القضية . فاستأجر أحد المجرمين الذي استل سكيناً وشج به رأس احسان عبد القدوس ليلاً . . . . في الظلام حين كان خارجاً من عمارة الايموبليا ولكن تشاء عناية الله أن ينزلق فصل السكين من على فروة رأس إحسان دون أن يخترق جمجمته !

ودخل عباس حليم على إحسان عبد القدوس في المستشفى يحمل طبقاً من « المارون جليسيه » وهو يقول له :

ـ الخائن الكبير جاء يهنىء البطل الكبير بسلامته !

أما المحاولة الثانية فكانت من الملك فاروق بعد الثورة . . . حيث كان مقرراً أن يقابله إحسان في مدينة « كان » بفرنسا لإقناعه بعدم مهاجمة الثورة في الصحافة الغربية . . . . وتم ترتيب موعد محدد مع الملك عن طريق سكرتيره . . .

وما ان علمت زوجة إحسان ـ التي كانت ترافقه في هذه الرحلة ـ بهذا الموعد حتى توسلت اليه ألا يذهب لمقابلة الملك فاروق وبكت بالدموع الحارة واستجاب لها إحسان !

واعتذر عن مقابلة فاروق قبل الموعد بنصف ساعة .

وبعد ذلك بعام اختلف الملك فاروق مع سكرتيره الخاص الذي جاء الى مصر وكتب مذكراته التي قال فيها :

« كان حراس الملك الألبانيين في انتظار إحسان عبد القدوس لقتله وإخفاء جثته بدعوى أنه جاء ليقتل الملك ! !

أما المرة الثالثة فكانت حين تم الاعتداء على منزل مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر الأسبق وذهب إحسان عبد القدوس الصحفي بجريدة الزمان المسائية لتغطية هذا الحدث فالتف من حوله شباب الوفد محاولين قتله ولكن أنقذته زوجة عبد العزيز البدراوي التي خرجت من شقتها المقابلة ومعها أولادها وصرخت في شباب الوفد . . . وجذبته الى داخل الشقة وأغلقت الباب ولكن شباب الوفد ظلوا متحرشين خارج المنزل حتى آخر الليل مهددين بقتل إحسان عبد القدوس فإضطر الى القفز من فوق سطوح العمارة

من بيت الى آخر حيث نزل الى شارع القصر العيني . . . وتنفس الصعداء بعد ما أنقذ من الموت !

أما المرة الرابعة التي تعرض فيها إحسان عبد القدوس للاغتيال فكانت على أيدي القذافي الذي كلف أحد رجال المخابرات الليبية بقتله بعدما كتب سلسلة من المقالات مهاجماً فيها القذافي . . .

وجلس رجل المخابرات الليبية في إحدى بارات الإسكندرية يرفع كأسه وهو يهذي :

ـ في صحتكم . . . اعتبروا إحسان عبد القدوس ميت !

وقبضوا عليه واعترف وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة !

وكانت المرة الخامسة . . . . حادثة سيارة أمام منزله في الزمالك . . .

وكسرت ساق إحسان وأصيب بارتجاج في المخ !

ورغم أن سائق السيارة كان طالباً ألمانياً . . . فقد ترددت شائعات قوية بأن مراكز القوى كانت وراء هذا الحادث ! وعلى الرغم من قرار النيابة العامة بالتحفظ على هذا الطالب إلا أنه استطاع الخروج من مصر عن طريق شخصية ذات نفوذ كبير وقتها !

كما أن إحسان عبد القدوس أكثر الكتاب شهرة بإثارة الشغب الجنسي فقد وصفه عباس محمود العقاد بأنه « أديب الفراش » .

وقد علل إحسان عبد القدوس إتهام النقاد له بذلك لرفضه اختيار العقاد زعيماً سياسياً !

وكان إحسان عبد القدوس يلقي كلمة أسبوعية في الإذاعة يختمها دائماً بعبارة « تصبحوا على خير . . . تصبحوا على حب » . وثار رجال الدين على ذلك . . . بدعوى أن ذلك دعوة على ممارسة الجنس علناً !

واستدعى الرئيس جمال عبد الناصر . . . . إحسان عبد القدوس وقال له :

ـ بلاش كلمة « الحب » في الإذاعة . . . خليها « محبة » !

ورفض إحسان عبد القدوس . . . إما أن يقول كلمة « حب » أو لا يتحدث في الإذاعة ! ومن يومها لم يتحدث إحسان عبد القدوس في الإذاعة !

ومن الغريب أن جمال عبد الناصر نفسه أصبح يستخدم كلمة « الحب » في خطبه بعد ذلك . . . .

وهذا ما كان يتمناه إحسان أن يرتفع باستخدام كلمة « الحب » . . . . وأن يضعها في مكانها الصحيح !

ثم عندما ثار بعض المتزمتين على قصته « البنات والصيف » استدعاه عبد الناصر مرة أخرى وقال له :
ـ خف شوية يا إحسان . . . انت زودتها حبتين !

وكـان إحسان عبـد القـدوس أول كـاتب في مصر ـ وربما في العالم ـ تعرض قصصه على البرلمان لأنها تخدش الحياء العام !

وقد اتصل أنور السادات ـ وكـان وقتها رئيسـاً لمجلس الأمة ـ وأبلغ إحسان عبد القدوس بعرض قصته « أنف وثلاث عيون » على المجلس بناء على طلب العضو عبد الصمد محمد عبد الصمد . . . . ووقف الدكتور محمـد عبد القـادر حاتم أمـام المجلس يشرح عـلاقة الحكومة بالصحافة والأحكام الدستورية والقانونية التي تحكم نـظام الصحافة في مصر .

ثم تقـدم إحسـان عبـد القـدوس بقصتـه الى المجلس الأعـلى للفنون والآداب وأشاد تـوفيق الحكيم بقصته « أنف وثـلاث عيون » أمام جميع الأدباء الحاضرين . . . . وقال يومها :

ـ أنا قرأت هذه القصة وليست فيها شيئاً يخـدش الحياء بـل هي قمة من قمم الإبداع الأدبي .

فـطلب من إحسـان أن يكتب ذلـك . . . . ورفض تـوفيق الحكيم قائلاً له :

ـ لا نستـطيـع أن نكتب ذلـك . . . لأننـا لا نعـرف مـاذا تـريـد الحكومة !!

الـطريف أنه بعـد ذلـك بسنوات ذهب النـائب الـذي قـدم الاستجـواب لهذه القصـة الى إحسان عبـد القدوس في مكتبـه وقال له :

ـ أنا في الحقيقة لم أقرأ القصة مطلقا !

فرد عليه إحسان قائلا : ولماذا إذن قدمت الاستجواب !

فقال له : أنا سمعت الناس بتتكلم كثير عن قصتك !

وإذا كان الاغتيال السياسي والشغب الجنسي هي أشهر الحدود التي تعلقت بأذهان القراء عن إحسان عبد القدوس أو هي ضفاف للنهر المتدفق لحياة وفكر أعمال الكاتب . . . . فإن بينهما حياة زاخرة . . . حافلة بالمواقف الوطنية وثرية بالتجارب الإنسانية وفياضة بالمشاعر العاطفية . . .

وإذا كان إحسان عبد القدوس أكثر التصاقا بالشهرة منذ مولده فهو ابن الفنان الممثل الكبير محمد عبد القدوس وابن الفنانة الممثلة الكاتبة روز اليوسف إلا أن طلاقهما يوم مولده قد سبب له المعاناة فرضع لبن التحدي !

كانت روز اليوسف تزوره كل يوم جمعة في منزل جده « أحمد رضوان » القاضي الشرعي المتزمت حيث كان يعيش إحسان مع عمته وزوجها في بيت العائلة الكبير . . . وكانت تقف روز اليوسف على الباب الخارجي ولا يسمح لها بدخول المنزل . . . لأنها ممثلة وتأخذ إحسان الطفل في أحضانها على الباب .

وبعد أن أصبح إحسان واعيا بمن حوله . . . اكتشف أن السيدة التي تأتي كل يوم جمعة وتأخذه في أحضانها خارج البيت هي أمه . . . وان السيدة التي في داخل البيت يقول لها يا أمي . . . هي عمته !

وقد أحدث هذا الموقف شرخاً في أعماقه . . . . ومهما حاول إحسان أن ينساه فإن رحيق النسيان دائماً ما يظهر في أعماله القصصية !

وقد تنقل إحسان عبد القدوس في كثير من المؤسسات الصحفية وفي كثير من المناصب رئيساً للتحرير ومشرفاً ورئيساً لمجلس الإدارة وكاتباً في : روز اليوسف وآخر ساعة وصباح الخير ودار الهلال وأخبار اليوم والأهرام .

وقد شارك في كثير من المواقف الوطنية والتاريخية لمصر بجهده وفكره وقلمه وتعرض للسجن ثلاث مرات :

الأولى حين كتب مقالته الشهيرة : « هذا الرجل يجب أن يذهب » . مهاجماً فيه شخصية اللورد كيلون المندوب البريطاني الذي جرت في عهد حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ .

وقد تعرض إحسان عبد القدوس للسجن بسبب هذا المقال رغم أن محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء في ذلك الوقت كان من أكثر السياسيين صداقة بروز اليوسف والدة إحسان فإنه في صباح يوم صدور مجلة روز اليوسف أصدر قراراً بالقبض على إحسان عبد القدوس ووضعه في سجن الأجانب محتجاً بأن هذا المقال أفسد العلاقات بين مصر وانجلترا . وبعد خروج إحسان من السجن قالت له والدته :ـ

ـ إن كل رؤساء تحرير الصحف تعرضوا للسجن . . . وما دمت

قد سجنت فإنك بذلك تكون قد قدمت أوراق اعتمادك لرئاسة التحرير !

وهكذا أصبح إحسان عبد القدوس رئيساً لتحرير روز اليوسف بسبب هذا المقال !

أما المرة الثانية التي دخل فيها السجن فكان بسبب خبر كتبه عن وزير لم يعجب فؤاد سراج الدين الذي كان وقتها وزيراً للداخلية فأمر بسجن إحسان عبد القدوس وعبثاً حاول كامل الشناوي يومها أن يتدخل لدى فؤاد سراج الدين للافراج عن إحسان دون جدوى !

أما المرة الثالثة فكانت بأمر جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤حين كتب إحسان مقالته « الجمعية السرية التي تحكم مصر » وظل إحسان في السجن الحربي لمدة ثلاثة شهور وحين خرج إحسان وعاد الى منزله اتصل به جمال عبد الناصر وقال له :

ـ إتربيت ولا لسه ؟!

فرد عليه إحسان قائلاً :

ـ والله أنا ما اعرفش أتربى من ايه . . . عشان أقول لك اتربيت والا ما اتربيتش !

فقال له عبد الناصر : تعالى افطر معي غداً !

وظل عبد الناصر يدعو إحسان عبد القدوس للعشاء معه في منزله ومشاهدة أفلام سينمائية لمدة ثلاثة شهور . . . نفس المدة التي سجنه فيها !

ولقد شهد إحسان عبد القدوس بمقالاته « الأسلحة الفاسدة » لثورة ٢٣ يوليو وعند قيامها اقترح إحسان على جمال عبد الناصر أن يكون علي ماهر رئيساً للوزراء . . .

فكلفه عبد الناصر بالتحدث الى علي ماهر في شأن ذلك . .
وبالفعل كان علي ماهر أول رئيس للوزراء بعد الثورة .

وتمتد الصداقة بين إحسان عبد القدوس وأنور السادات الى ما قبل الثورة . . . وكان إحسان هو أول من عين أنور السادات في « دار الهلال » واستمرت الصداقة بينهما على ما يرام حتى بعد أن تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية بفترة غير قصيرة حيث عرض أنور السادات على إحسان عبد القدوس أن يكون وزيراً للثقافة ورفض إحسان . . . بعد أن رشحه هيكل لذلك !

واعتاد أنور السادات أن يتصل بإحسان عبد القدوس ليسأله عن رأيه في خطبه وأحاديثه السياسية وذات يوم في مارس ١٩٧٦ القى أنور السادات خطبة قال فيها :

ـ انه سيدعو الجيش الى حماية الدستور !

واتصل إحسان عبد القدوس هذه المرة بأنور السادات ليقول له :

ـ لم يكن من الواجب أن تقول ذلك !

فالذي يجب أن يحمي الدستور هو الشعب وليس الجيش ! انني لن أكتب لك ذلك ولكنني أقوله لك ذلك باعتبار أنك تحب دائماً أن تسمع رأيي !

فقال له أنور السادات : ولماذا لا تكتب ذلك ؟!

فرد عليه إحسان : كيف أكتبه ؟ . . . . انني أقوله لك على المستوى الشخصي !

فقال له السادات : لا . . . . اكتب هذا . . . . حتى يعرف الشعب أنك تكتب ما تريد أن تقوله !!

وفعلاً كتب إحسان مقالته : « ملاحظات على خطاب الرئيس » .

وفوجىء بعدها إحسان مباشرة بإبعاده من رئاسة مجلس إدارة جريدة الأهرام ! رغم أن إحسان كان كثيراً ما يرجو السادات أن يقبل استقالته من الأهرام وكان الرد التقليدي للسادات على ذلك هو :

« انت دايماً عايز تهرب يا احسان » !

وتعرض « محمد » إبن إحسان عبد القدوس للسجن في عهد أنور السادات . . . . ورفض إحسان أن يتحدث أو يرجو أحداً من أجل ابنه . . . ورفض أن يتحدث في اجتماع كبير الى السادات في شأن الإفراج عن ابنه . . . ولما خرج السادات من الاجتماع اقترب من احسان وصافحه وهو يقول له :

- ابنك طالع لأبوه .

فرد عليه احسان :

- طالع لأبوه ليه . . . ما يمكن طالع لعمه « يقصد أنور

السادات ! » . انت انحبست أكثر مني ودخلت السجن أكثر مني !

ورفض إحسان ان يتحدث اليه في شأن الإفراج عنه . . . لأن هذا معناه أن يتعهد بأن يغير ابنه اتجاهاته السياسية . . . . وهو لا يستطيع أن يكره أحداً على تغيير أفكاره ومعتقداته . . . . حتى ولو كان ابنه !

ولهذا كان إحسان عبد القدوس دائماً كاتباً حراً لم ينضم الى أي حزب . . . . أو هيئة أو اتجاه سياسي . . . . باستثناء شهرين في حياته انضم فيهما لجمعية ماركسية لكن سرعان ما انسحب منها لأنه كان ينتقد كارل ماركس على غير رغبة من أعضاء الجمعية !

ولهذا رفضت أمريكا دخوله اليها حتى عام ١٩٦١ بدعوى أنه جعل من روز اليوسف ترسانة للشيوعية في الشرق الأوسط !

ولما وجهت اليه أمريكا الدعوة لزيارتها بعد اعتذارها اليه قاطعه الاتحاد السوفييتي ولم يوجه اليه أي دعوة من يومها !!

إن القلم لا يتوقف في الكتابة عن إحسان عبد القدوس . ولكن إذا كانت الكتابة عن إحسان عبد القدوس متعة فإن الحديث معه لا شك متعة أكبر . .

لهذا كان هذا الحوار الطويل معه . . . والذي استغرق ثلاث جلسات طويلة كل منها تزيد على الثلاث ساعات . . . في منزله المطل على هدهدة نيل الزمالك . . .

وإذا كـان الإغتيال السيـاسي والشغب الجنسي أكـثر الجـوانب تعلقاً بأذهان القراء ضفـافاً لنهـر إحسان عبـد القدوس . . . . فـإن هـذا الحـوار بـلا ضفـاف . . . وبـلا حـدود أو قيـود لنهـر الكـاتب المتدفق !

محمود فوزي
٢٥ ديسمبر ١٩٨٧

رضعت من طرد جدي لأمي .. لبن التحدي !

- أول سيدة قلت لها يا أمي .. لم تكن أمي !
- جدي لم يكن يسمح لأمي بالدخول الى المنزل !
- قصة « أنا حرة » مستوحاة من حياتي !
- من أجل طبق عاشوراء تعرفت على زوجتي !
- تزوجت سراً لعدم موافقة أمي في منزل التابعي !

● استاذ إحسان عبد القدوس . . . عندما ولدت في عام١٩١٩ كانت والدتك السيدة روز اليوسف مطلقة من والدك الفنان محمد عبد القدوس فذهبت تقيم مع عمتك وزوجها في بيت العائلة الكبير بالعباسية . . . وكان زوج عمتك يضربك قاصداً تقويمك وكنت تقف أمامه متحدياً دون أن تدمع لك عين فإذا خليت الى نفسك بكيت . . . . هل كانت هذه الأحداث هي التي أوحت اليك بروايتك « أنا حرة » ؟!

●● من أكثر الأشياء التي أثرت في حياتي أن أول سيدة أحسست أنها أمي . . . لم تكن هي أمي . . . فلقد بدأت أفتح عيني على الحياة فوجدت نفسي في بيت جدي وكانت التي تقوم بتربيتي عمتي وزوجها . . . عمتي أقول لها « يا نينة » وأولادها كانوا بمثابة أخوة لي . . . لأن والدي افترق عن والدتي عند ولادتي . . . وكان هذا له تأثيراً كبيراً على نفسي . . . كانت تأتي سيدة كل يوم

جمعة ولا تدخل البيت . . . تقف على أعتاب الباب الخارجي لبيت جدي . . . .

وحين تأتي هذه السيدة . . . يخرجونني على باب البيت . . . . وتأخذني السيدة في أحضانها . . . ويتكرر ذلك كل يوم جمعة . . . ولما بدأت أعي اكتشفت أن هذه السيدة التي تقف خارج الباب هي أمي . . أما التي أقول لها يا أمي داخل المنزل هي عمتي . . وطبعاً كان هذا له تأثير في تكويني وشخصيتي فيما بعد . . . فقد كان جدي الشيخ أحمد رضوان وكان من القضاة الشرعيين من الشخصيات المحافظة جداً وكان يرفض دخول أمي روز اليوسف المنزل لأنها ممثلة . . . . والممثلة لا تدخل لأنه لم يكن هناك اعترافاً بها . . لدرجة أن والدي محمد عبد القدوس كان ممثلاً أيضاً وجدي غضب منه .

ولهذا أنصح في كل دعواتي الاجتماعية وألح في نصحي بعدم الافتراق بين الزوج والزوجة بعد الانجاب . . . فالزوج والزوجة في رأيي إذا أنجبا يصبحان غير متزوجين من بعض . . لقد تزوجوا أولادهم ! . . ممنوع الطلاق مطلقاً . . الطلاق معناه في نظري أن يفترقا عن أولادهما وليس من بعض !

وسأعترف لك وأقول نعم قصة « أنا حرة » مستوحاة من قصة حياتي . . وحين كتبت هذه القصة خرج الأستاذ نجيب محفوظ ـ وكان جاراً لي في نفس الحي « العباسية » .

وقال يومها : قصة أنا حرة هي قصة إحسان عبد القدوس .

وغضبت جـداً وهـاجمت نجيب محفـوظ . . . ولـكني الآن أعترف لأول مرة وأقـول نجيب محفوظ كـان صادقـاً فـلا شـك إنها حياتي . . ليست طبق الأصل ولكن مستوحاة من حياتي الخاصة .

● هل كان يضايق اسمك « إحسـان » لأنه اسم يـطلق عادة على البنات ؟!

●● أنـا تعبت كثيراً من إسمي « إحسـان » في فتـرة طفـولتي . . كنت كلما تشـاجرت مـع الأولاد في الشارع يجـرون ورائي وهـم يرددون « البنوتة أهو . . البنوتة أهو » لماذا ؟ لأن اسمي « إحسـان » . . واحسان إسم يطلق على البنات ولهذا كنت دائماً وأنا صغير أسأل والدي ووالدتي :

ـ إنتوا ليه سمتوني إحسان !!

والدتي روز اليوسف كانت تقول لي : أن السبب في تسميتـك بإسم « إحسان » هو أنها أثناء ولادتي وقفت بجانبها صديقتها الممثلة إحسان كامل فأطلقت اسمها « إحسان » على أول أبنائها . .

لكن والـدي يحكي لي قصـة أخـرى في سبب تسميتي وكـان يقول : إن جدتي لأبي كانت تركية . . واسم إحسان في تركيا يـطلق على الأولاد . . إحسان مذكراً لا مؤنثـاً في تركيـا . وجدتي هي التي اختارت لي اسم إحسان . والدي ووالدتي كل منهما يـريد أن يخفف على نفسي وقع اختيار إسم إحسان !

ولكن أنا في الحقيقة أكثر اقتناعاً بكلام والدتي أكثر من والدي

.. لأن والدي كان يحبني جداً .. ولهذا أراد أن يبرر لي اختيار الإسم ويخفف الصدمة على نفسي وأنا صغير .. ولا تندهش فأنا تأثرت نفسياً جداً من اختيار إسمي لدرجة أنني لما بدأت الكتابة ونشرت إسمي في الصحف والمجلات فوجئت برسائل كتب عليها « الآنسة إحسان عبد القدوس ! ». ولكن الحمد لله تجاوزت ذلك واستطعت أن أفرض اسمي كرجل !

● كيف اشتهرت بإسم « عبد القدوس » رغم أن إسم الأسرة الحقيقي هو « رضوان » هل اسم « عبد القدوس » نسبة للفنان عبد القدوس عازف الناي والذي كان صديقاً لجدك والأسرة ؟!

●● أنا عمري ما تمنيت الشهرة ! لا لإسمي ولا لشخصي ! .. والسبب في ذلك إحساسي بأنني ولدت مشهوراً .. كلما ذهبت الى مكان يشار علي « إحسان ... أهو إبن روز اليوسف ومحمد عبد القدوس ! لهذا فلم تكن الشهرة شيئاً ذي بال في بداية حياتي. والحقيقة أن إسمي بالكامل هو إحسان محمد عبد القدوس رضوان والعائلة جذورها تمتد الى عائلة « القماش » التي هاجرت من « الصالحية » إلى « شبرا اليمن » واستوطنت هناك ولكن إسم الشهرة أصبح فيما بعد هو « عبد القدوس » حيث أن إسم والدي كان مركباً وهو « محمد عبد القدوس » أما إسم العائلة رضوان فقد ضاع مع الزمن لعدم إدراجه في اسمي .

● أستاذ إحسان عبد القدوس ... كنت في طفولتك المبكرة

تخرج الى الصحراء المجاورة في « العباسية » وقتها وتتأمل القمر فيخيل اليك أن القمر إنسان يبكي فتبكي مثله . . وكنت تكتب مسرحيات تمثلها على أقاربك الأطفال في بدروم بيت جدك وحين كان يقتضي الدور أن تبكي كنت تنخرط في البكاء . . هل هذه المواقف هي التي فجرت كوامن « الرومانسية » في نفسك ؟!

●● أكبر شخص أثر في حياتي هو والدي . . ولقد تأثرت به كثيراً من الناحية الفنية . . كان يجلس في البيت يكتب القصص والأزجال والأشعار وكتب قصة اسمها « إحسان بيه » وتحولت الى فيلم سينمائي وكان تاني فيلم مصري بعنوان « بنت الليل » . . . ولهذا فإنني دائماً ما أقرب الواقع الذي أعيش فيه من خيالي . . فقد كنت أسير في الصحراء التي كانت في الناحية الشرقية من العباسية . . أسير وحيداً تنتابني نوازع ومشاعر متباينة وأخلو بنفسي وأسرح وأظل أبكي . . ولا أعرف لماذا أبكي . . ؟! ليست هناك أسباب وإنما هي نوازع طبعاً كنت أقدر والدي . . وكان والدي يكتب وأجلس أنا في مواجهته مقلداً وأكتب أنا الآخر . . كتبت شعر منثور وزجل وشعر وقصص . وكتبت أول مسرحية في حياتي وعمري عشر سنوات . . مقلداً والدي الذي كان يكتب مسرحيات . . وكان عنوان أول مسرحية لي هو « العلم علم التلميذ . . طلع لسه شريف » ! ومثلما كان يمثل والدي جمعت أطفال العائلة والحارة ونزلنا البدروم في بيت جدي ومثلت المسرحية وكنت أنا البطل والمخرج وكل شيء . . ومثلت الدور وفي مشهد كان يتطلب من

الممثل أن يبكي اندمجت في الدور وبكيت فعلاً وعبثاً أحاول أن أتوقف عن البكاء دون جدوى وكانت مناحة وفشل الدور ومن يومها الى الآن وأنا أخشى المسرح جداً وأخشى التمثيل لغاية النهار دة على عكس والدي ووالدتي الذين كانوا من أهل الفن والمسرح ولم أفكر في الظهور على خشبة المسرح لأني كنت خائفاً أن أخرج عن الدور وحاول الكثيرون من نظار المدارس التي التحقت بها أن يعرضوا علي الإلتحاق بفرق التمثيل في المدارس . . . وكنت أرفض . وقال لي ناظر مدرسة فؤاد الأول : لماذا يا ابني لا تريد أن تمثل . . هل يعقل أن يكون إبن محمد عبد القدوس وروزا اليوسف ليست لديه موهبة التمثيل ؟! وقلت له لا أستطيع التمثيل . . وحتى اليوم لا أستطيع مواجهة الجمهور . . أو إلقاء محاضرات أو الظهور على شاشة التليفزيون أو حتى استلام الجوائز !

● وماذا عن فترة الضياع في صدر شبابك . . . الفترة التي تعرفت فيها على راقصة في الإسكندرية وكانت تكبرك في السن (٣٥ سنة) والتي جعلتك تهمل في دراستك وحبستك في منزلها ثلاثة شهور ولكنك هربت منها عندما تبينت ما تشرف عليه من ضياع لإستعادة ما فاتك في دراستك ؟! هل استوحيت منها قصتك « الراقصة والطبال » ؟!

●● يمكن أن تعتبر ذلك إنها ليست أشياء أساسية في حياتي فقد كنت مشهوراً في أي مدرسة أو مجتمع أدخله بأنني أنتسب لأبي وأمي المشهورين ولذلك كان زملائي في الدراسة يتعرفون بي.

و يجـذبـونني مجتمعـات بعضها كـان غريبـاً علي ، ومن هنـا نشأت صداقات بيني وبين زملاء كانوا يسكنون أحياء شعبيـة وتعرفت فيهـا على طبيعة هذه المجتمعات . والحقيقة إنني في شبابي تعرفت على كل المجالات والمجتمعات الدينية والمحافظة وأيضـاً المجتمعات المفتـوحة التي تأثرت بها كثيراً .

إما إنني استوحي قصتي من شخصية معينة . . فأنا لا أستمد قصص من شخصيـة واحدة بـالذات وإنمـا أستمدهـا في الحقيقة من المجتمع الذي أدخل فيه وأعايشه .

وعلى العموم فإن الظروف قد تغيرت بعدها .

● الحب الأول في حياتك . . بنت الجيران وكان عمرك وقتها ١١ سنة . . وكنت تترك مدرستك وتوصلها في تـرام « الجمايـز » الى مدرستها « السنية » وكانت أسعد لحظات حياتك هي التي يخلو فيهـا ديـوان الدرجـة الأولى بالتـرام إلا منكما . . فتمسـك بيدهـا محـاولاً تقبيلها بعيداً عن أعـين الكمساري . . ثم تـزوجت هي بعد ذلـك وكانت أول صدمة لك . .

●● وأشعـل إحسان عبـد القدوس سيجـارة الكوبي قبـل أن يقـول لي : أنـا فعـلاً إنسـان عـاطفي نتيجـة الـظروف التي نشـأت فيهـا . . عواطفي تحكمني أكـثر مما يحكمني العقـل ! . . كانت الحب الأول . . وكانت بنت الجيران وصديقة لابنة عمتي وكان حبـاً أعتبره من أرقى وأنـظف وأعمق أنـواع الحب الـذي يجمـع بـين صبي وصبية . . كان عمري وقتها١٤ عاماً وهي ١٣عاماً . . وكان حباً قوياً

بـالنسبة لي شخصيـاً وكان لا يتجـاوز انها تـزور ابنة عمتي وأجلس معها كما كانت التقاليد. . كان شيئاً راقياً في معناه. . وكنت أنتظرها على محطة التـرام وأركب معها لأوصلهـا الى مدرستهـا « السنية » ثم أعود على قدماي بعـد ذلك الى مـدرستي فؤاد الأول. . وكل الـذي كان يجمع بيني وبينهـا لا يعدو أكـثر من أن أمسك يـديها وأنـا أعتبر ذلك منتهى الرومانسية !

ثم تغيرت الظروف وحصلت عـلى التوجيهيـة فتزوجت فعـلاً وحزنت ويئست وعانيت صـدمتي في الحب. . مثلما يحدث في فشـل الحب الأول دائماً .

● هـل حقيقـة من أجـل « طبق عـاشـوراء » تعـرفت عـلى زوجتك « لولا » ؟

●● وضحك إحسان عبد القدوس طويلاً ثم أشعـل سيجاره الذي إنطفأ فاشتعل الدخان واشتعلت معها ذاكرته :

« لـولا » زوجتي من عائلة كبيـرة من حي العبـاسيـة. . نفس الحي الذي كنت أعيش فيه . وتصادف أن قال لي صديقاً عزيزاً أنه ذاهب لعـائلة المهليمي في مناسبـة دينية وسـوف يقدم لهم طبقـاً من العاشوراء كما جرت العـادة في مثل هـذه المناسبـات . . وطلب مني صديقي أن أذهب معـه لتقـديمـه الى « رأفت هـانم » شقيقـة زوجتي (لولا) وكانت تعيش معها وهناك التقيت بـزوجتي لأول مرة. . من أول لحظة أحسست أنني أعرفهـا من زمن وتجاذبنـا أطراف الحـديث ضحكنا وأحسست بقلبي يخفق وأعجبت بها جداً . . وانتهى اللقاء

بعد أن قدم صديقي طبق العاشوراء !

وعدت الى منزلي على أساس إنها سوف تتصل بي بالتليفون مثلها في ذلك مثل كل البنات . . فقد كنت أيامها معروفاً وكنت مغروراً وعندي إحساس بأن كل البنات بيموتوا فيِّ . . ليه ما تعرفش . . ليه ما تفهمش !

وانتظرت يوماً واثنين وثلاثة أيام ولم تتصل . . فاستعجبت جداً وطلبتها في التليفون وقلت بها بحدة :

ـ أنت إزاي ما تضربيش لي تليفون لغاية دلوقتي ؟!

فردت عليّ قائلة :

ـ أضرب لك تليفون . . ليه . . أنا أعرفك منين . . إنت كنت بتزور العائلة وانتهت الزيارة . . اضرب لك تليفون ليه ؟!

فقلت لها :

إذا لم تكلميني في إلتليفون . . أنا اللي ح أكلمك ؟!

وبدأت من يومها رحلة الصداقة والحب والوفاء . . وتزوجنا بعد عام واحد رغم أن العائلتين كانوا رافضين زواجنا من أول لحظة لأنني كنت صغيراً لم أتجاوز الثانية والعشرين . . لكننا تزوجنا رغم أنف الجميع وقدرنا نثبت وجودنا بالإصرار والتحدي والحب .

● استاذ إحسان عبد القدوس حبك الأخير . . زوجتك السيدة « لولا » لاقى هذا الحب مصاعب كثيرة . . رفضت والدتك

الزواج وعارضه أهلها كذلك الـزواج لأنك كنت لا تـزال في بدايـة حياتك الصحفية .

●● وقـال إحسان عبـد القـدوس وهـو يتمـلى صـورة زيتيـة لزوجته :

والـدتي لم تكن موافقـة عـلى زواجي مـطلقـاً . . أنـا عـرفت زوجتي وهي من عائلة كبيرة في حي العبـاسية وتعـرفت بحكم الحي الواحد . . وبدأ الحب منذ أول لقاء وعرفت العائلة بهذا الحب ولكن دون أي إكتـراث لأننا كنـا لا نزال صغيـرين . . حتى حصلت عـلى الليسانس وأحسست أنني لا أستطيع أن أستغني عن حبيبتي وكذلك هي أحست أنها لا تستـطيـع أن تستغني عني فقــررنـا الـزواج . . والعائلتين ثاروا والسبب الرئيسي لذلك أنني كنت لا زلت صغيراً ولم يتضح مستقبلي بعد . . لم أتجاوز الثانية والعشرين فكيف أتزوج ومن أين أنفق عـلى أسرة ؟! . . عـائلتها رفضت وأمي رفضت ولكن أبي كان موافقاً . . لكن أمام ذلك قررنا وصممنا على الـزواج دون عمل حساب لأحد فقد كنا بلغنا سن الرشد . .

ولقد تزوجنا في البدايـة في السر حين أحضر الأستـاذ التابعي المـأذون في منـزلـه وزوجنـا أنـا لا أنسى فضله في ذلـك أبـداً . . تزوجنا . . أنـا أصبحت في منزلي وهي ظلت في بيت أبيهـا لغايـة ما قلناالهم في النهاية احنا اتجوزنا لم تستمـر طويـلاً بعد أن أحسـوا أننا نجحنا واقتنعوا بعد أن ازدهر الحب وتقدمنا في حياتنا الأسرية .

● ألم تتخوف من فكرة الـزواج وتتردد في الإقـدام عليه لأول

وهلة لأن معـظم الصحفيين وقتهـا كانـوا رافضين لفكـرة الـزواج : التابعي والصاوي ومصطفى أمين وكامل الشناوي !

●● كانت أسرتي رافضة الزواج مطلقاً وعندما وافق الأستـاذ التـابعي وقال لي هـات حبيبتك وخـطيبتك ولا تحمـل همـاً . . وأنـا سأزوجكما عندي في البيت سأحضر لكما المأذون !

جلست مـع نفسي أفكر . . وأقـول هو التـابعي عاوز يجـوزني ليه ؟!! . .

إشمعنى هـو لم يتزوج . . وبعـدين فكرت فـوجدت أنـه ليس هناك أحداً من الكتـاب الصحفيين النـاجحين متـزوجاً : لا تـوفيق الحكيم ولا الصاوي ولا مصطفى أمين . . إذن فالـزواج يقضي على الموهبة ويقف ضد النجاح . . هكذا اهتدى تفكيري وخيل لي وقتهـا وأصبت بحـالة نفسيـة سيئة للغـايـة لكن في النهـايـة كـان ارتبـاطي بزوجتي كان هو الأقوى . . وتزوجتها فعلاً في بيت الأستاذ التابعي .

● والدك كان له دور كبير في نجـاح هذا الـزواج بإسهـاماتـه المادية . .

●● والدي الفنان محمـد عبد القدوس كان يحبني حبـاً كبيراً وكان مقتنع بي اقتناعاً غير طبيعياً . أي عمل كنت أقوم به مهما كـان شـاذاً كان في نـظره شيئـاً من العبقـريـة ! وكـان مؤمنـاً فعـلاً بـأنني عبقرياً . . فلما ذهبت اليه وفاتحتـه في مسألـة زواجي قبل أن يسـألني من هي ؟! . . أو من عائلة من ؟!

كان سعيداً ومسروراً للغاية وزغرد كما لو كان بيمثل فيلماً ووافق على الفور لأنه كان مؤمناً بأن كل تصرفاتي سليمة وبدأنا في التفاصيل وقلت لخطيبتي لا داعي لمسألة الشبكة أو المهر هذه!! . . نحن لسنا متزوجين من أجل الشبكة . . ثم يأخذوها . . سوف أحضر لك الشبكة بعدين! وفي أي وقت ولو بعد مائة سنة! . . فالحقيقة أنني لم أكن مقتنعاً بمسألة الشبكة ! ولكن والدي رفض من أجل التقاليد . . كان مدخراً لي ستين جنيهاً أعطاهم لعمتي وكانت مسئولة عني . . الطريف أن عمتي نفسها كانت رافضة مسألة الزواج . . وكانت تقول . . جواز ايه . . . دا لعب عيال » !

واشتريت الشبكة وقتها بالستين جنيهاً . . ولا زالت محتفظ بها حتى اليوم . . انها اليوم تساوي ألفين أو ثلاثة آلاف جنيهاً . . تعرف . . انني أحب هذه الشبكة « حباً غير عادياً » . . تجدني كل عدة أيام أفتح الدرج وأتأملها بحب شديد . . لأنها تذكزني بأجمل أيام حياتي . . أيام لا تفارق مخيلتي . . انها أسعد أيامي .

● هل كانت شخصية روز اليوسف . . شخصية مستقلة . . حالة استثنائية شاذة بالنسبة لمجتمعها . . هل كان يضايقك أن يناديك الناس بابن روز اليرسف . . لهذا كتبت شخصية « أحمد » رمزاً لشخصك في روايتك « لا تطفىء الشمس » الذي كان يثور حين كان يعرّف بانه ابن أخت وكيل الوزارة ؟!

●● كنت أغضب من أن كل الناس يعرفون إسم أمي على حين أنا لم أكن أعرف إسم أية أم لزميل لي! . . فقد كانت أمي ممثلة

وكان التمثيل في ذلك الوقت بالنسبة للمرأة لم يكن معروفاً . . وأنا لم أعي على والدتي وهي كانت ممثلة لأنها تركت التمثيل عام ١٩٢٤ وأنا لم أتجاوز الرابعة بعد لكنني أتذكر جيداً روز اليوسف الصحفية وهي شخصية خدمتني كثيراً لأنها فتحت أمامي الطريق نحو الصحافة والسياسة . . مجتمع روز اليوسف كان يضم كل الإتجاهات والحركات والزعماء على اختلاف ميولهم السياسية . . كان ملتقى الزعماء . . هيكل باشا وصدقي باشا وحفني باشا ومكرم باشا وغيرهم عرفتهم في صالون روز اليوسف معرفة تكاد تكون شخصية .

● أستاذ إحسان عبد القدوس . . كتبت ذات يوم تقول أن مدام كوري مكتشفة الراديوم لا تصلح مثلاً للمرأة لأنها مخلوقة شاذة أشبه بعجل ذات رأسين ! ! وثارت يومها والدتك ثورة عارمة واتهمتك بالرجعية ؟ ! هل ذلك الموقف هو الذي أوحى إليك فيما بعد بقصتك « استقالة عالمة ذرة » ؟ !

●● أنا أعتبر والدتي روز اليوسف معجزة وحالة شاذة استثنائية لأن ما قامت به وحققته ونجحت فيه لا يمكن اعتباره قاعدة لكل امرأة . . لقد تركت منزلها وضحت بكل شيء لأنها كانت تملك موهبة حقيقية وقدرة خاصة على الإبداع . والدتي لم تنجب سوى (روز اليوسف) المجلة . . لكنها أنجبتنا من أجل المجلة فقط وهذا يؤكد اهتمامها الشديد وتفرغها لعملها . . لهذا فأنا لم أطلب من كل واحدة أن تكون مدام « كوري » . . لأنني اعتبر أن أساس مسئولية

أي امـرأة هو البيت والأولاد. . وهـذا ينطبق عـلي بالـدرجـة الأولى فلولا زوجتي ما كنت أستطيع تحقيق الأسرة والاستقرار والنجاح لأنها متفـرغة للبيت والأولاد. . وهـذا جعلني لا أتزوج مـدام كـوري ولم أتمنى في حياتي مطلقاً أن أتزوج أي إمرأة تعمل! . .

ولا تندهش فأنـا معروف عني ذلـك لأنني أدركت من البدايـة مسئولية البيت الخطيرة بالنسبة للمرأة .

الأسلحة الفاسدة التي انفجرت في قلب كل مصري !

- ضربني الكونستابل الانجليزي بالكرباج فألقت أمي « القلة » على العساكر الانجليز !
- تجاهلت الجيل الذي سبقني واعتمدت على جيلي !
- النقراشي أول من حبسني كان صديقاً لأمي !
- استوحيت « في بيتنا رجل » من إخفاء حسين توفيق في منزلي !
- علي عبد الصمد هو مصدري في قضية الأسلحة الفاسدة !

● أستاذ إحسان عبد القدوس.. حين اشتركت في مظاهرات الثلاثينات ضد الإنجليز.. قال زعيم المظاهرة: يحيا الثبات على المبدأ فالتزمت الثبات في مكانك وجرى الجميع وأصبحت وحدك في مواجهة الكونستابل الإنجليزي الذي تقدم نحوك بالكرباج ثم ضربك وتحول وجهك الى أنهار من الدم هل كان هذا هو الدافع في أن تشترك في السياسة بالكتابة فقط سواء بالمقالات أو المنشورات أو إعداد الخطط دون التنفيذ ؟!

●● لقد كنت أكره الإنجليز جداً وأنا طفلاً حتى قبل أن أستكمل وعيي بأسباب الكراهية ولم أكن أبداً في المواقف الخلفية بل كنت جريئاً في المقدمة تتحكمني نوازع عصبية ولكن لم أكن أتقدم في عمل لا يجدي بل عمل ينفع الوطن... وحين كنت طالباً في مدرسة فؤاد الأول كنت أصرخ في الطلبة بأن الجامعة ستقوم بمظاهرة اليوم، وقد لا يكون هذا صحيحاً ولكنها رغبتي في القيام بمظاهرة ضد الإنجليز وتخرج المظاهرة بالفعل.. وذات يوم كانت مظاهرة لا أنساها حيث حاصرتنا ثورة من العساكر الإنجليز فهتفت في المتظاهرين: يحيا الثبات على المبدأ.. لا تتحركوا من أماكنكم.. وظللت واقفاً في مكاني على حين جرى زملائي الطلبة وظللت واقفاً الى أن تقدم العساكر الإنجليز نحوي بالكرباج فهربت تحت سلم فهجم علي كونستابل انجليزي وانهال علي ضرباً وقطع وجهي بالكرباج وحين تركني أطلقت لساقي الريح في دقائق من الظاهر حتى ميدان الأزهار حيث كانت تسكن والدتي التي ما ان رأتني ووجهي ممزق من الضرب، حتى صرخت وتصادف أن كانت هناك

مظاهرة للإنجليز تحت منزلها فخرجت الى البلكونة وظلت تكيل الشتائم للإنجليز ثم أمسكت بقلة فخارية وضربتها على العساكر الإنجليز انتقاماً لإبنها !

ولقد كنت في هذه الفترة على إتصال بكل التنظيمات السياسية ولكن لم تكن لدي الرغبة في الإنضمام لأي منها . . كنت متصل بأي تنظيم يدعو لأي حركة وطنية من أجل مصر . . دون النظر الى الإتجاه السياسي . . ولقد انتابتني في هذه المرحلة الرغبة في المعرفة عن الاحتلال الإنجليزي لمصر . . . وكيف احتل الإنجليز مصر . . وكانت اهتماماتي تجمع بين السياسة والأدب . . كنت أشترك صباحاً في مظاهرة ثم أجلس في المساء لأكتب قصة عاطفية .

بدأت في تلك الفترة التي أعتبرها أهم فترة في تكوين ثقافتي وعقليتي والتي استمرت قرابة أربع سنوات قرأت خلالها كل الآداب العالمية باللغة الإنجليزية . . قرأت الأدب الإنجليزي والفرنسي والأمريكي والروسي . . وحين تخرجت من كلية الحقوق . . عملت محامياً لبعض الوقت ولكنني فشلت لأنني كنت كثيراً ما كانت تحدث مشادات بيني وبين القضاة على منصة المحكمة ! لأنه ليست لدي طول بال للروتين القضائي ! ثم تفرغت للكتابة والصحافة بعد ذلك .

ولأن أول من أدخلني السجن كان من أقرب الزعماء السياسيين الى أسرتي وهو محمود فهمي النقراشي لأنني كتبت مقالاً أهاجم فيه اللورد كيلرن المندوب السامي البريطاني ثم فؤاد سراج

الـدين بعد ذلـك وكنت أعرفـه عن قرب. . لهـذا قررت ألا يكـون اعتمادي السياسي على الجيل الذي سبقني لأن ذلك لم يكن يصل بنا الى أي نتيجـة إيجـابيـة أو أي اقتنـاع وطني. . وهـذا هـو أهم قـرار اتخـذته في حيـاتي. انني أتجـاهـل كـل الجيـل الـذي سبقني واعتمـد اعتمـاداً كلياً عـلى جيلي!. وقـد تـرجمت ذلـك عمليـاً حـين تـوليت مسئولية مجلة روز اليوسف حيث استكتبت كل الشبـان المختلفين في كل الاتجاهات السياسية فكان يكتب الشيـخ الباقـوري وكان وقتهـا من الأخـوان خـالـد محمـد خـالـد جنبـاً الى جنب مـع المـاركسيـين والمستقلين وكان هذا سبباً في تحويل اتجاهي من مرحلة إلى أخرى .

● كيف واتتك الجرأة على كتابة مقالك « هذا الرجل يجب أن يذهب » . والذي تعرضت بسببه للسجن لأول مرة في حياتك منددا بالسفير الانجليزي حيث لم يجرؤ أحد من الكتاب طيلة ثلاثة سنوات ان يمس هذا الرجل ؟!

●● في الحقيقة أنا كنت معتمد اعتماداً كاملاً على اقتناعي ولم أكن مقتنعاً مطلقاً بوجود السفير الإنجليزي وقتها فكيف لهذا الرجل الـذي تسبب في حـادثـة ٤ فبـراير ١٩٤٢ والـذي يحكم مصر حكـماً مباشراً يصبح هو السفـير؟! وكتبت مقالـة في روز اليوسف عنـوانها « هذا الرجل يجب أن يذهـب » . .

وصادر النقراشي المجلة وكانت المفاجأة لنا وكان صديقـاً لأمي وللمجلة ولم يكتفي بذلك بل أمر بالقبض عليَّ . . وأدخلني السجن . . وكانت أول مرة في حياتي أدخل فيها السجن . . لكن كان سجن

الأجانب وكنت مدللاً فيه للغاية ولم استمر أكثر من أربعة أيام . . وكانت زوجتي تحمل ابني الرضيع « محمد » على كتفها حيث لم يكن قد بلغ ستة شهور . . تحمله على كتفها . . وتجلس تحت شباك الزنزانة المحبوس فيها . . وكنت أنظر اليها من خلال قضبان الزنزانة وكانت ذكريات سعيدة ! !

بعد أربعة أيام أفرج النقراشي عني واتصل بوالدتي يعتذر لها ،

- معقول يا روز ابنك إحسان يرفض قبول المفاوضات مع الإنجليز وهم يعلمون مدى الصداقة التي تربطني بك وبالمجلة هذا معناه فشل المفاوضات ومن أجل ذلك كنت مضطراً لأن أحبسه » . اعتذر النقراشي باشا وكان في الحقيقة من الشخصيات الوطنية التي تتمتع بالنزاهة والقوة . . . لكنني لم أكن في الحقيقة مقتنعاً به كرجل سياسي وهذا الأمر أيضاً ينطبق على أحمد باشا ماهر وكنت في فترة من الفترات أكثر التصاقاً به بحكم صداقته بأمي وكانت روز اليوسف قد تركت الوفد قبل السعديين لما ينفصلوا عنه وبعد حصولي على الليسانس قمت بزيارة أحمد ماهر وعرض علي أن أعمل سكرتيراً له ورفضت . . كنت أريد أن أكون حراً .

وحزنت كثيراً لإغتيال أحمد ماهر وكتبت مقالات عنيفة ضد اغتياله ولكنني اكتشفت بعد ذلك أنه لم يكن من الإمكان أن أكون متفقاً معه سياسياً فإرادتي حرة فأنا فقدت إيماني بكل الجيل الذي

سبقني وبدأت اعتمد اعتماداً على الجيل الجديد. . . الجيل الذي أنتمي اليه .

* * *

« نص المقالة التي نشرها إحسان عبد القدوس في 9 أغسطس عام 1945 بعنوان « هذا الرجل يجب أن يذهب » مهاجماً فيها شخصية اللورد كيلرن المندوب البريطاني الذي جرت في عهده حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ .

وقد تعرض إحسان عبد القدوس للسجن بسبب هذا المقال .

ورغم أن محمود النقراشي رئيس الوزراء في ذلك الوقت كان من أكثر السياسيين صداقة بالسيدة فاطمة اليوسف والدة إحسان فإنه في صباح يوم صدور روزا اليوسف أصدر قراراً بالقبض على إحسان عبد القدوس ووضعه في سجن الأجانب محتجاً بأن هذا المقال أفسد العلاقات بين مصر وانجلترا وبعد خروج إحسان من السجن قالت له والدته أن كل رؤساء تحرير الصحف حبسوا ودخلوا السجون وما دمت قد دخلت السجن فإن هذا يعني أنك قدمت أوراق اعتمادك لرئاسة التحرير .

وهكذا أصبح إحسان عبد القدوس رئيساً لتحرير روزا اليوسف بسبب هذا المقال .

نحن اليوم أشد ما نكون حاجة الى حسن التفاهم مع

انجلترا ، فإن أقل سوء تفاهم بيننا قد يؤدي الى توتر يقضي على العلاقات بين البلدين ، وحسن التفاهم يقتضي صفاء النية . . وصفاء النية ـ نية الشعب المصري ـ يقتضي أن يذهب عنا فخامة الرايت أو نور ابل لورد كيلرن اف كيلرن السفير البريطاني الحالي .

ومن حق انجلترا أن تتمسك بفخامة الورد كيلرن سفيراً لها في مصر فقد نجح في مهمته إذا نظرنا اليه بمنظار الامبراطورية البريطانية .

ولكن من حق مصر أيضاً أن تطالب بسحبه من منصبه وابداله بغيره فقد فشل في مهمته كسفير لبلده لدى بلد آخر مستقل له سيادة .

فشل لأنه لم يستطع أن يقنع نفسه بأن مصر بلد مستقل ذو سيادة .

وقد استقبلت مصر سعادة اللورد كيلرن عندما وصل اليها لأول مرة استقبالاً كريماً وتمنت على قدومه الخير والبركة ، ولم تمض الشهور حتى ازداد أملنا فيه ، وبدأت انجلترا تستعيد ثقتنا بها واقتنعنا لأول مرة في تاريخنا الحديث بأن بين الانجليز من يذوب حباً وصبابة في حرية الأمم الصغيرة ، وبدأ الرجل بالفعل سياسة جديدة فتفاهم مع حزب الوفد الذي كان دائماً ألدّ أعداء الإنجليز ، ثم فتح باب المحادثات لتصفية العلاقات بين البلدين ، وانتهت جهوده بعقد المعاهدة ، وأصبحت انجلترا بالنسبة لنا صديقة حليفة عزيزة بعد أن كانت عدوة معتدية آثمة . وخرجت المعاهدة على العالم

فدهش العالم ، وكتب كتابه في أكثر من كتاب وفي أكثر من صحيفة ان انجلترا « ضحكت على مصر وأن الزعماء المصريين مغفلون » .

وافقنا نحن من سكرة الأمل وأعدنا قراءة المعاهدة فأخذنا نولول ونلطم الخدين . . ولكننا رضينا بها « وشربناها » ما دامت الغلطة غلطتنا وما دمنا مغفلين . ولكن هل رضيت بها انجلترا أو . . ـ على الأصح ـ هل رضي بها فخامة اللورد ـ كيلرن اف كيلرن . وليس هذا مقام اثبات انه ما من مادة واحدة في معاهدتنا العرجاء قد نفذت أو احترمت ، إنما المهم أن صديقنا وصديق زعيم الأغلبية فينا لم يستطع أن يفرق بين مركزه قبل المعاهدة ومركزه بعد المعاهدة ، وقد كان جنابه قبل المعاهدة مندوباً سامياً وأصبح بعد المعاهدة سفيراً ليس إلا ، أي لا تتعدى حقوقه وسلطاته حقوق وسلطات فخامة محمود جم سفير ايران في مصر إلا فيما نص عليه البروتوكول ، فهل مركز اللورد كيلرن بيننا هو مركز السفير أبداً بل أعطى لنفسه حقوقاً فاقت حقوق المندوب السامي في بلد مستعمرة (بفتح الميم) والرجل الذي يقتحم قصر عابدين على رأس فرقة من الدبابات ، ليس سفيراً ولا مندوباً سامياً إنما هو قائد لجيش معتد .

* * *

وقد لا يكون من اللياقة الدبلوماسية أن نعدد مدى أخطاء

السفير البريطاني في حق استقلالنا أو نعدد الانذارات الشديدة اللهجة التي أرسلها الى حكوماتنا المختلفة أو تبين خطورة الصداقات التي تربطه ببعض رجالنا انما نحن على استعداد لأن ننسف كل ذلك . وان نبدأ صفحة جديدة في تاريخ العلاقة المصرية الإنجليزية ولكننا لا نستطيع أن ننسى ما دام وجه فخامته يطل علينا ولا نستطيع أن نكتب صفحة جديدة ما دامت اليد التي ستشترك معنا في كتابتها هي اليد التي كتبت الصفحات القديمة .

وسواء كانت السياسة التي اتبعت هي سياسة الحكومة الإنجليزية نفسها أو كانت سياسة السفير نفسه ، فإن المسألة « مباتي » ومسألة ثقة الشعب في الرجل الذي يتعامل معه . واسألوا الشعب هل بينه وبين اللورد كيلرن « مباتي » أو هل له فيه ثقة ؟؟ » .

* * *

● لماذا أويت في منزلك « حسين توفيق » قاتل « أمين عثمان » الذي كان عميل الإنجليز وربيباً للملك ؟!

●● . . . أنا اقتنعت بالأسباب التي دفعت حسين توفيق الى قتل أمين عثمان ولذلك حين طلب مني الاختباء في منزلي وافقت على الفور مع أنني بعد ذلك اكتشفت أن الذي كان وراء عملية حسين توفيق هو الحرس الوطني التابع للسرايا . . وأنا بالطبع ليس تابعاً

للسرايا أو الملك ولهذا حين خرج من منزلي بـدأت فرقـة ثانيـة تقوم بعملية إخفاء حسين توفيق . فالعملية كلها كانت قائمة على اقتناعي الشخصي وليس على أشخاص القائمين بهـا أو على الهيئـة أو الحزب الـذي فكر في هـذه العملية فـأنا لا يهمني الأشخـاص الذين قـامـوا بعملية الاغتيال ولكن يهمني في المقام الأول الموضوع ذاته واقتنـاعي به. . . ولهذا كثيراً ما كنت أقترح فكرة وطنية يقوم بهـا هذا الحـزب أو ذاك ولا يهمني الحزب في حد ذاته ولكن يهمني بالضـرورة العملية نفسها والقضية التي أؤمن بها .

● هـل استـوحيت من إخفـاء « حسـين تـوفيق » في منـزلـك روايتك « في بيتنا رجل » ؟!

●● لا شـك أن روايتي « في بيتنـا رجــل » من وحي وجـود حسين توفيق عندي في البيت لمدة أربعة أيام هـارباً بعيـداً عن أعين البوليس. . وكنت أرتعد ليلاً وهو نائماً بجواري على السرير. . فقـد كان لا ينام إلا وتحت رأسه مسدساً. . وطبعاً أنا لا أحب المسدسات مطلقاً ؟. . ولكن الفضل في ذلك يعود الى والدي وزوجتي. . فقـد كـان والـدي مقيم معي في تلك الفتـرة وكـان يسهـر مـع حسـين توفيق. . وكنت أتعمد أن أتـرك البيت كثيراً حتى لا يشـك أحداً في أنني متستر على أحد في منزلي ولهـذا فقد كنت أخـرج كثيراً وأتصـل بـالناس. . حتى البـوليس كنت على إتصـال وثيق به حتى لا يسـاور أحداً الشكوك. . وحدث يوماً أن قال لي مدير البوليس وكان اسمـه الجزار : مش حتقول لنا حسين توفيق فين ؟!

وأخذتها على أنها نكتة فلم أصدق أنه عارف أن حسين توفيق عندي في المنزل !

وبعد ذلك أعلن عن مكافأة قدرها ٥ آلاف جنيه لمن يرشد عن مكان حسين توفيق . . . وقد فوجئت ذات يوم بأن « السفرجي » في منزلي اكتشف بالصدفة وجود حسين توفيق . . ومن هنا شعرت بالخوف لأنني لا أستطيع أن أضمن غريب عندي . فتحدثت مع الأصدقاء المقربين وحسين توفيق في شأن ضرورة اختفائه في مكان آخر خشية أن ينكشف أمره . . وانتقل بالفعل . . وكان كل الذي خرجت به من هذا الموضوع هو قصة « في بيتنا رجل » مع اختلافها بالطبع عن واقع العملية ذاتها .

● كان أول حديث مع الشيخ حسن البنا هو الذي أجريته معه سنة ١٩٤٣ تحت عنوان : « الرجل الذي يتبعه نصف مليون » . وانبهرت يومها بالشيخ حسن البنا . . ورفضت الإنضمام اليه . . لماذا لم تنضم للأخوان المسلمين ؟! . . وما رأيك في إنضمام ابنك « محمد » اليهم الآن ؟!

●● أنا لم أرفض الانضمام للشيخ حسن البنا أو الأخوان المسلمين . . بالعكس أنا كنت أقدر الشيخ حسن البنا لأنه كان عقلية متفتحة وأفكاره كلها متجاوبة مع أفكاري . . وكان يواجه أي فكر بلا خوف . . في مناقشة موضوعية هادئة . . والحقيقة انني كنت أستريح له كثيراً وكانت المسألة متبادلة وكثيراً ما جلسنا نتناقش وكنت معجباً بشخصه الى أقصى درجة وكان هو الآخر معجباً

بشخصي خاصة بعد إجراء الحديث معه : « الرجل الذي يتبعه نصف مليون » والذي أحدث ضجة كبيرة بعد نشره . ولكنني رفضت الانضمام لأي حزب أو أي هيئة أو تكوين سياسي أياً كان . لأن إيماني بحريتي انها فوق كل الناس وعلى قدر حبي لحسن البنا . . إنما كانت حريتي فوق حسن البنا . . حريتي تجعلني لا أنضم لحسن البنا أو غيره من الإتجاهات السياسية الأخرى .

والذي كان يقويني في حريتي انني كنت صاحب المجلة التي أحررها ولم يكن أحداً يستطيع أن يفرض رأياً على « . . والدتي لم تكن تعاملني بالطبع مثلما كانت تعامل أي موظف . . لأنني أولاً وأخيراً ابنها . . وخصوصاً بعد أن أطلقت يدي في سلطات التحرير بأكملها . .

ولكن محمد وجد في ظروف تختلف عن ظروفي ورغم أنني كنت أتمنى له ألا ينضم لأي حزب أو هيئة ليظل حراً بلا أية حزبية أو اتجاه سياسي مثلما حدث لي .

ولكنه دخل في مرحلة التجريب السياسي وهو صغيراً وتمسك بكل القيم والمبادىء والمثل العليا لكنه لم يجد القوة القادرة لتحقيق كل أهدافه أو مبادئه إلا مع الأخوان المسلمين فإنضم لهم وأصبح مرتبطاً بهم ارتباطاً وثيقاً . . وان كان إنضمامه للأخوان المسلمين مدخله الأساسي هو الإتجاه الاسلامي في المقام الأول لأنه متدين جداً . وكان من أصحاب الفضل عليه في هذا الإتجاه هو واحد من أعمدة وأقطاب الفكر الإسلامي الشيخ الغزالي وأصبح أكثر ارتباطاً

وصلة به خاصة بعد زواجه من ابنته . . بالطبع كل هذا له تأثيره على شخصيته وقناعاته . . وأنا دائماً أوافق على تصرفات ابني « محمد » بالنسبة لنفسه لأنني على ثقة من انه ليست لديه أهداف خاصة أو أهداف تخل بسلامة وطهارة شخصيته ولذلك فأنا راضي عما يفعل وأرى أنه الصواب .

* * *

عبر إحسان عبد القدوس عن موقفه من الأخوان المسلمين في مقالته التي نشرها بروز اليوسف في ٢٧ نوفمبر ١٩٥١ بعنوان « الأخوان المسلمون .. الى أين . . وكيف ؟ » .

والتي يقول فيها :

« الأخوان المسلمون اليوم - كما كانوا بالأمس - هم الذين يمثلون دعوة الدين الى الجهاد ، وبفضل دعوتهم هذه شهدت ساحات فلسطين أبطالاً منهم وقفوا وقفة العمالقة وهتفوا باسم الله فإذا بالبطل منهم وفي صدره عشرة أبطال . . ولا يستطيع ضابط ممن اشتركوا في حملة فلسطين أو مراقب ممن راقبوا معاركها ، ان ينكر فضل متطوعي الأخوان المسلمين فيها ، أو ينكر بطولتهم وجسارتهم على الموت ، والعبء الكبير الذي تحملوه منها راضين فخورين مستشهدين في سبيله .

أين هم اليوم في ساحات القتال ؟

هل هذا هو كل ما يستطيعون تقديمه ؟ وهل هذا هو كل ما

يستطيع المرشد العام أن يعده . . هذا هو كل ما يستطيع أن يذيعه على الصحف من بيانات ونداء ونداءات شعبية ؟!

لنكن منصفين . .

لقد عاد الأخوان المسلمون من حملة فلسطين وفي ظهور كل منهم خنجر مسموم . . عادوا ليشتركوا ويعتقلوا وليروا رجلهم الأول يغتال في ظلام .

فهل تتكرر عليهم المأساة لو اشتركوا في حرب التحرير ؟
وهل من حقهم أن يسائلوا أنفسهم مثل هذا التساؤل ؟

ولنفترض أنهم لم يجدوا ما يطمئنهم وما يضمن لهم أن مثل هذه المأساة لن تتكرر عليهم ، فهل معنى هذا أن يتخلوا عن الجهاد ، ويسكتوا عن دعوتهم ويكبتوا صرخة الدين والوطنية في صدورهم ، ثم ليصنع الله بمصر ما يشاء ؟!

لقد قرأت لأحد الأخوان مقالاً في هذا المعنى ـ وان كان لا يعبر في هذا المعنى ـ وان كان لا يعبر به عن الرأي الرسمي للجماعة ـ استشهد في نهايته بالحديث الشريف « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » . . فهل هذه هي المناسبة التي يستشهد فيها بهذا الحديث ؟ . .

وهل كفر نبي بدينه وتخلى عن دعوته ، لمجرد أنه خدع في فريق من أنصاره ، أو أوذي من بني قومه ؟!

إن دعوة الأخوان ، كما أفهمها في مثل هذه الظروف ، هي

الجهاد ضد الإنجليز باسم الدين.. وهي دعوة ينتظر دائماً أن يقوم بها أنصارها حتى لو أوذوا في سبيلها وحاقت بهم الكوارث .

ولا أستطيع أن أرى في صفحات المستقبل ما يضمن لي وعداً بأن الأخوان لن يضطهدوا مرة ثانية.. وثالثة.. ورابعة.. بل أكاد أجزم بأن كل من يصدر منه مثل هذا الوعد إنما هو كاذب مخادع.. ولكن أليس هذا هو نصيب المجاهدين المؤمنين بدعوتهم وبحق دينهم ووطنهم ؟!

ماذا يمكن أن يحدث لهم مرة ثانية ؟

سيقتلون.. ويعذبون.. ويعتقلون.. ويشردون ، وتشرد عائلاتهم .. وماذا نطلب من كل مصري اليوم ؟ ألا نطلب منه أن يتقبل الموت والعذاب والاعتقال والتشريد ؟!

إن هذه الأيام ـ وأقولها مخلصاً مؤمناً ـ هي الامتحان الأول للاخوان عقب محنتهم ، فاما أن يكونوا كما كانوا صلباً أقوياء بإيمانهم ، أقوياء بدعوته التي تندلع كالنار لتحرق أعداء مصر ، وتضيء كالنور لتجمع حولها الجيل الجديد من شباب مصر وإما فقدتهم مصر .. فقدت فيهم رجالاً ماتوا شهداء في ميادين جهاد الدين ، وفقدت فيهم رجالاً عاشوا حريصين على سلامتهم في ميادين جهاد الدنيا .

أقولها وفي القلب أمل لا يزال قوياً .. فيوم يتحرك الأخوان المسلمون ويعرفون كيف يتحركون والى أين ، فقد اكتملت لمصر

قواها الشعبية وضمنت لأيام الجهاد الانتصار » .

***

أستاذ إحسان عبد القدوس . .

● كنت أول من كشف قضية الأسلحة الفاسدة ودخلت في معركة مع السلطة وقتها ممثلة في القصر الملكي والحكومة وقلت لحيدر باشا في مقالتك : استقل يا رجل قبل أن أكتب مقالتي الثانية « واستقال فعلاً بعد المقالة الأولى ورفضت أمام محكمة الجنايات بعد الثورة أن تكشف عن مصدرها . . هل كان مصدرك في قضية الأسلحة الفاسدة هو علي عبد الصمد عضو مجلس النواب عن دائرة الغش ؟!

●● سأقول لك كيف أن الصدف يمكن أن تلعب دوراً كبيراً وتخدم الصحفي وتغطي احتياجاته في كشف الفساد السياسي . . بدأت قضية الأسلحة الفاسدة حين ذهبت يوماً الى مجلس الشيوخ وسمعت المحامي الكبير مصطفى مرعي يثير ويعلق على تقرير ديوان المحاسبة والذي ثبت من خلاله على استيراد أسلحة للجيش تبين أنها فاسدة . . فعدت من الجلسة وأنا ثائراً من الذي سمعته وكتبت مقالاً عنيف أهاجم فيه التلاعب بأرواح أبنائنا في القوات المسلحة عن طريق أسلحة فاسدة تصوب نحو صدورهم . . هذا المقال شجع الأستاذ علي عبد الصمد وكان هو يقوم باستيراد أسلحة وفشل ذلك في صفقة فجاء آخر واستورد أسلحة أخرى . . وجاءني الى مكتبي بروز

اليوسف لمجرد أنني كـاتب وطني وحكى لي على كـل الفضائـح التي تحدث في استيراد الأسلحة . . . ونشرت أول تفـاصيل سمعتهـا منه . . ولقد جشع نشر هذه الوقائع التي كانت تنشر لأول مرة سكرتيريه حيدر باشا الذي كان وزيراً للحربية واستقال بسبب مقالاتي ووضعوا أمامي معلومات جديدة عن استيراد الأسلحة في الجيش المصري . . وقد كتبت ثلاث مقالات قبل أن توقف النيابـة العامـة النشر لتحقق معي . . ووكيل النيابة في هذه القضيـة وقف موقفـاً وطنياً وتصـرف بمنتهى الحـرية وقبض عـلى العديـد من الضباط . . وقـد قبض على بعض الذين أدلوا بشهادتهم لارتباطهم بما حدث .

*** * *

كانت لمجموعة مقالات « صفقة الأسلحة الفاسدة » التي كتبها إحسان عبد القدوس أصداء واسعة النطاق في مصر وعلى ضوء هذه المقالات كشف ظلام الفساد فكان قلمه ودون أية مبالغة أحد الأقلام البـارزة التي هيئت الشعب فكريـاً ونفسياً لقيـام ثورة ٢٣ يـوليو . . وكانت هذه المقالات التي نقتطع منها بعض الأجزاء سبباً مباشـراً في تعرضه لمحاولة اغتيال بالطعن من السكين من أحد المأجورين من قبل عباس حليم الذي تعرض له إحسان عبد القدوس في مقالاته لدوره في صفقة الأسلحة الفاسدة بمقالته التي نشـرت في ١٣ يونيـه ١٩٥٠ تحت عنوان « محاكمة مجرمي حرب فلسطين ـ النبيل عباس حليم كان يستورد سلاحاً » . . والتي كتب يقول فيها :

« وقـد مرت في أواخـر حملة فلسطين أيـام كان القـواد الكبـار

يترددون كثيراً قبل أن يصدروا أمراً بالهجوم الى أحد الضباط وكان الضباط يترددون كثيراً قبل أن يلبوا الأمر .

وقد قرأت في بعض ما نشر من المذكرات أن القائد كان يصرخ في الضابط قائلاً « اهجم » فيرد الضابط « وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة « اهجم أنت » !!

وهذا نوع من التمرد . . .

وهو تمرد ليس نتيجة جبن فإن العالم كله قد شهد للضابط المصري والجندي المصري بالشجاعة التي تبلغ حد الجنون في خلال معارك فلسطين وهذه الشجاعة وحدها هي التي وصلت بالجيش المصري الى تل أبيب وهي التي مدت أمد القتال ما يقرب من عام . .

ولكن الضباط والجنود كانوا قد اكتشفوا قيمة سلاحهم . . عرفوا الرصاص المغشوش وجربوا الألغام التي لا تنفجر وماتوا بالقنابل التي تنطلق الى الوراء وكانوا قد عرفوا أن هذه الذخيرة يستفيد منها ناس ويموت بها ناس !!

بهذه الروح عاد الجيش المصري من فلسطين فاستقبلته أنباء صفقات السلاح التي عقدت خلال الحرب ثم انباء الصفقات التي عقدت بعد الحرب والتي لا تزال تعقد حتى اليوم .

وكان استجواب مصطفى مرعي وتقرير ديوان المحاسبة عن هذه الصفقات فرصة سانحة للتفريج عن النفوس التي فاضت

بالهمسات ، وكانت فرصة للحكومة حتى تستعيد ثقة الجيش بمحاكمة مجرمي الحرب .

ولكن معالي وزير الدفاع انتهزها فرصة لنثر أكاليل الغار على رؤوس المشبوهين ووزع قصور الجنة على المذنبين دون أن يستغفروا ولم يترك أملاً جديداً في محاكمة تعقد للخارجين على الله وعلى الوطن وعلى الجيش . .

ويحدث هذا في الوقت الذي تدور فيه مباحثات عسكرية بين الحكومة المصرية والفيلد مارشال سليم وتحاول خلالها الحكومة أن تثبت أن الجيش المصري قادر على الدفاع عن قناة السويس عند أي اعتداء !

كيف يستطيع الجيش المصري أن يدافع عن القناة وحوله كل هذه الاتهامات التي تمسك بخناق بعض رجاله وبعض المتعاملين معه !

اتهامات يوجهها ديوان المحاسبة المصري وينطق بها مجلس الشيوخ المصري ويرددها ضباط مصريون !!.

وكيف لا يبتسم المارشال سليم وهو يسمع أقوال الحكومة المصرية عن قدرة الجيش المصري ثم تغلبه الدبلوماسية فيسكت !!

وكيف تأخذ الحكومة البريطانية بحججنا العسكرية وهي تعلم أن شيئاً لم يجد على الجيش حتى يستطيع الدفاع عن القتال وان الذين باعوا واشتروا السلاح المغشوش لا يزال في امكانهم !

إني أشعر بالأسف وانا أكتب هذه الكلمات وأخجل من أن أواجه الحقائق كما هي صوناً لكرامتي الوطنية . .

وأعود فأكرر أني لو كنت وحدي الذي يعلم لما تكلمت بل لاسكت كل من يتكلم لأن الكلام وحده لا يجر وراءه إلا الفضيحة . .

ولكننا جميعاً نعلم وانجلترا تعلم !!

إحدى الصفقات

وهذا مثل مما أعرفه ويعرفه ضباط الجيش : في أواخر ابريل عام ١٩٤٩ تعاقدت لجنة الاحتياجات بوزارة الدفاع مع شركة « اورليكن » السويسرية على توريد ١٦ مدفع ١٠٥ م.م و٤٨ ألف طلقة بسعر المدفع ستون ألفاً من الدولارات وبسعر الطلقة الواحدة ٦٦ دولاراً . . وكان ثمن الصفقة كلها « ٤,٢٨٠,٠٠٠ دولار » . . .

وكان العقد مكون من ورقة واحدة أصغر كثيراً من ورقة عقد ايجار شقة مكونة من ثلاث غرف . . لا تفاصيل ولا بيانات ولا اشتراطات ولا جزاءات ولا الاحتياطات الطبيعية التي تقتضيها صفقة تقدر بحوالى ملايين من الدولارات الامريكية الغالية !

وشركة « اورليكن » هذه كما قلت ـ شركة سويسرية ولكن المدافع التي تعاقدت على توريدها مدافع اسبانية تصنع في اسبانيا

وتشحن في اسبانيا . ولكن ان تتعجب بعد ذلك لما لم تتعاقد لجنة الاحتياجات مع المصانع الاسبانية مباشرة بدل أن تمر عن طريق سويسرا ؟!

وقد أبدى هذا التعجب وكيل وزارة الخارجية الاسبانية وأبداه للاستاذ عبد المنعم الطحلاوي القائم بأعمال المفوضية المصرية في اسبانية وأضاف الى تعجبه أن الحكومة المصرية كانت تستطيع أن توفر أربعين في المائة من ثمن الصفقة لو أنها عقدتها مباشرة مع المصانع الاسبانية .

وقد أرسل الاستاذ عبد المنعم الطحلاوي حديث وكيل وزارة الخارجية الاسبانية الى وزارة الخارجية المصرية في برقية بالشفرة بتاريخ شهر يونيو ١٩٤٩ ولم يكن لهذا الحديث أي وقع في مصر ولا حتى وقع الشعور بالأسف . وأرسلت وزارة الحربية أحد خبراء المدفعية من الضباط المصريين الى اسبانيا لا ليقول رأيه في الصفقة فقد كانت قد تمت ـ أي الصفقة ـ نهائياً دون استشارة أي خبير انما أرسلته ليتلقى دروساً في كيفية استعمال هذه المدافع .

ولكن الضابط المصري لم يستطع أن يحبس رأيه بمجرد أن رأى هذه المدافع فأرسل تقرير الى الوزارة يبلغها انها مدافع لا تصلح لعدة أسباب فنية بالتفصيل .

وكانت النتيجة أن استدعى الضابط المصري الى مصر قبل أن يتم مهمته وأهمل أمره وتسلمت الحكومة المصرية المدافع المتعاقد عليها وانكسر منها مدفعان بمجرد وصولها . .

وتسلمت الحكومة أيضاً خمسمائة طلقة من الطلقات المتفق عليها ثم وجدت أن الضابط المصري كان على حق عندما أشار الى العيوب الخطيرة في هذه الطلقات فأوقفت الشحن وطلبت من المصنع إجراء عدة إصلاحات في هذه الطلقات !!

« الشريف النبيل »

« ويمثل شركة اورليكن في مصر وكالة يرأسها النبيل عباس حليم . . وأنا أول من يعلم مدى نزاهة النبيل عباس حليم وأول من يعلم مدى تضحياته الوطنية وتضحياته في كل الأعمال العامة التي تولاها وإذا كنت قد ذكرت هذه الصفقات التي عقدتها الشركة التي ينوب عنها في مصر . فلا أذكرها على سبيل الاتهام القاطع اني أذكرها لتكون محل تحقيق بعد أن كانت محل همس وأحاديث تزحف بين الطوابير .

والنبيل عباس حليم نفسه هو أول من يستطيع أن يحقق في هذه الأقوال وأول من يستطيع أن يصدر بياناً يطمئن ويعيد الثقة فيما تم عن طريق شركته من صفقات . . » .

* * *

الثورة التي ولدت على يدي احسان عبد القدوس !

- عبد الناصر كان يحضر الى مكتبي ولم أكن أعرف أنه رئيسا للضباط الأحرار !
- ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثورة شعبية حققها الضباط الأحرار .
- أنا الذي اقترحت علي ماهر رئيسا للوزراء بعد الثورة .
- الوحيد الذي رفضت اغتيال الملك فاروق ولولا ذلك لفشلت الثورة !
- د. وحيد رأفت كان يطالب ببقاء الملك بعد الثورة وكنت أطالب بعزله !

● استاذ احسان عبد القدوس . . .

في الساعة الرابعة من فجر يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٢ دق جرس التليفون في منزلك وكان المتحدث هو أحد الضباط الأحرار الذي ابلغك باحتلال أعضاء مجلس الثورة للقاهرة . . رغم أنك قبل الثورة بيومين وعلى وجه التحديد يوم الأحد ٢١ يوليو كنت في الاسكندرية وكنت مختلفاً مع السراي ووزارة حسين سري باشا بسبب أزمة في الجيش وكان رأيك أن تحقق مطالب محمد نجيب وزملائه . . وكان رأيهم أنه لا فائدة من هؤلاء الضباط الذين يطبعون المنشورات وأنهم في حاجة الى شخص شديد يلبسهم « الطرح » . . هل كان لديك استشعاراً على البعد من أن الثورة قادمة لا محالة ؟ .

●● بالطبع كنت متأكداً من أن الثورة قادمة . . وأن الثورة ستقوم مهما كانت الظروف لكن على المستوى الشخصي لم يكن لدي أي إرتباط بأي تنظيم ثوري ولكن أعرفه كأشخاص . . جمال عبد الناصر كان يحضر مع رشاد مهنا الى مكتبي بروز اليوسف . . وكان عبد الناصر يجلس

ولا يتحدث وكان رشاد مهنا هو المتحدث دائماً !

أنا باعتبر جمال عبد الناصر ضابط ثوري تمكنت منه الاتجاهات الثورية ولم يكن أكن أعرف أنه رئيس الضباط الأحرار وكنت أعرف كل الضباط الأحرار تقريباً كأشخاص وطنيين ثوريين ولما دق جرس التليفون في الساعة الرابعة صباحاً لم أكن أعرف وقتها من قائد الثورة حتى ذهبت الى مجلس القيادة وعرفت أن الذي قام بالثورة هو جمال عبد الناصر ومحمد نجيب والضباط الأحرار الذين ساعدوني في كشف قضية الأسلحة الفاسدة . التي ساعدت في توجيه الرأي العام السياسي داخل الجيش في الاعداد للثورة .

● هل كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . ثورة حقيقية أم انقلاب أم حركة عسكرية ؟

●● أنا أؤكد على أن ما حدث في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هو ثورة حقيقية واقعية ولكن تفسيري ثورة شعبية فقد كانت مصر بكل طبقاتها ـ وليس المثقفين فقط ـ في حالة ثورة . .

الحالة الداخلية لمصر كانت تنذر بثورة . . غاية ما هناك أنه لم تكن هناك قوة قادرة على تحقيق هذه الثورة حتى تحقق ذلك على أيدي الضباط الأحرار .

فأنا لا أنسب الثورة للضباط الأحرار ولكني أعتبر أنهم حققوا الثورة الشعبية التي كانت قائمة فعلاً . . فالثورة إذا نسبتها للضباط الأحرار وحدهم لا تبقى ثورة ولكن لأن الشعب كله كان ثائراً فعلاً

. . أنا شخصياً كنت ثائراً قبل الثورة . . لم أكن تابعاً للضباط الأحرار ولكنني كنت ممثلاً للثورة الشعبية التي كانت تجتاح مصر قبل الثورة . . ولولا هذه الثورة الشعبية ما استطاع الضباط الأحرار أن يقوموا بالثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

إلا أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ثورة شعبية قام بتحقيقها وتنفيذها مجموعة من الضباط الأحرار ولكن لو نسبتها لهم بمفردهم لا تبقى ثورة ولكنها تصبح في هذه الحالة « عملية » !

* * *

من المفارقات الغريبة أن يكتب إحسان عبد القدوس في أول أغسطس ١٩٥١ في مجلة روز اليوسف في العدد ١٢١٣ يتنبأ بقيام الثورة ويحث عليها إذ يقول في مقالته المنشورة بعنوان « هل هذه هي حكومة الثورة ؟ » . .

« فهل أعدت الحكومة نفسها لهذه الثورة القريبة التي لن يتجاوز موعدها نهاية الشهر الحالي ، كما جاء في تصريحات المسئولين ؟

إن أول اعداد لمثل هذه الثورة هو أن تتوافر الثقة بين الحكومة والشعب . . بين الحاكم والمحكوم فهل تتوفر هذه الثقة اليوم ؟

هل آمن الشعب بأن الحكومة قد باعت أيامها في سبيل القضية الوطنية ، وان وزراءها قد خلصوا للجهاد ، فلم يعد منهم من يهتم بعزبة يقتنيها ، أو بمنصب يمنحه لقريب أو نسيب أو بصفقة يجني من ورائها الذهب !

وهل يؤمن الشعب بأن الحكومة تعني ما تقول عن حربها مع الانجليز ، في حين أنها تترك وزراءها وكبراءها ووجهاءها يبعثرون كرامتهم وأموالهم في مصايف أوروبا وتنقل عنهم الصحف الأجنبية صوراً وأنباء ليست بصور المجاهدين ولا بأنباء المكافحين بل هي صور وأنباء اللاهين العابثين في وقت تدعى فيه مصر انها جادة في خطاها جادة في بذل دمها لاخراج الانجليز . .

ثم هل تثق الحكومة بالشعب ؟

وهل تؤمن بأنه شعب قادر على الجهاد، قادر على الوقوف في وجه الانجليز ؟

وهل تؤمن بأن الطبقة العليا من الشعب : طبقة الأعيان ، وكبار التجار والمقاولين ، مستعدة للتضحية بالمكاسب المادية التي يجرها عليها بقاء الانجليز ، ومستعدة لتحمل الخسائر الفادحة التي قد تجرها عليها الثورة الوطنية ؟

وإذا كانت الحكومة تؤمن بالشعب ، فلماذا تستهين به الى هذا الحد ، وتتحداه بكل إثم ترتكبه ، وكأنها واثقة من أنه شعب نائم لن يتحرك أبداً ، ولن يثور أبداً !

وإذا كانت الحكومة تؤمن بالشعب ، فلماذا تمنعه بقوة البوليس من القيام بمظاهرات سليمة يعلن فيها سخطه على المعاهدة وعلى الانجليز ، ويستثير بها الهمم ، ويحض بها على الجهاد كما يحدث في ايران ، وكما يحدث في كل بلد تريد أن تبقى الرأي العام يقظان وتريد أن تعده للثورة ؟

وهل حسبت الحكومة حساب الجاليات الأجنبية في مصر ؟
هل حسبت حساب مصالحهم وما قد يتعرضوا له من تضحيات مادية اشتراكاً وتأييداً للثورة المسلحة على الانجليز ؟

هل اتصل وزير الداخلية أو وزير الخارجية برؤساء الجاليات الأجنبية وعرض عليهم ما تنوي حكومته الاقدام عليه في سبيل إلغاء معاهدة ٣٦ ، وما قد يعقب ذلك من تبعات يجب أن يشتركوا في تحملها ؟ هل عرف رأيهم ، وحدد موقفهم ؟

ولا بد أن المسئولين عن الحكم يعلمون أن للثورات تنظيمات خاصة ، فل بدأوا في اتخاذ هذه التنظيمات ، استعدت للثورة التي ستعلن في نهاية هذه الشهر ، أو بعد أشهر ؟

هل تحركت لجان الوفد ـ مثلاً ـ لتعد من حولها الشبان ، وتنظيم الكتائب ، وتثير حماسة النساء والرجال ، وتضع خطط الكفاح المجدي العنيف!

هل عقدت المؤتمرات الوطنية ؟ وهل اتصلت الهيئات الوفدية بغيرها من الهيئات الشعبية لتوحيد الجهود وتقسيم العمل ؟

وهل أعدت فرق « الجوزيللا » أو « حرب العصابات » ، وزودت بالسلاح ودربت على استعمال ، الى أن يحين وقت العمل ؟

وهل حصر أفراد الطابور الخامس ، الذين نشطوا هذه الأيام ليبذروا البذور السوداء في الأرض الساذجة ، ويشيعوا روح

الاستسلام في النفوس البكر ، ويجسموا احتمالات الفشل أمام كل ذهن غبي ؟

وهل قوبلت هذه الجهود الدنسة التي يبذلها الطابور الخامس ، بجهود أخرى تقضي عليها وتحتفظ للروح الوطنية بقوتها ، ولدعوة الجهاد بقدسيتها ؟

هل حدث شيء من هذا ؟

أم أن اعتبار القوات البريطانية في مصر ، قوات معادية ، لا يترتب عليه شيء إلا تصريحاً أو تصريحين من وزير يبلغ من جرأته أن يطلب من محرر الصحيفة الا ينشر تصريحه منسوباً اليه مكتفياً بنسبته الى « المسئولين » !

إني لا أبالغ ، ولا أتصور شيئاً لم يحدث مثله في كل دولة صغيرة أرادت حريتها ونالتها . .

فإذا كانت الحكومة تعني ما تقول فهي حكومة ثورة . .
ونحن نؤيد كل حكومة ثورة . .
ولكن « أين هي ؟ » . .

***

استاذ احسان عبد القدوس

● سألك جمال عبد الناصر في الساعات الأولى للثورة . . من تريده أن يتولى الحكم واقترح عليك اسم الهلالي واسم بهي الدين

بركات فوصفت الأول بأنه حزبي والثاني بأنه أضعف من الموقف . . ثم سألك من تريد إذن أن يتولى رئاسة الوزارة فقلت له علي ماهر . . لماذا علي ماهر هل لأنه سبق وان عرض عليك من قبل أن تكون مديراً لمكتبه ؟

●● يومها قلت لعبد الناصر : ألن تشكلوا وزارة ؟ فقال لي من ؟

واقترحت يومها علي ماهر على الفور . . وهذا لم يعترف به أنور السادات في مذكراته (البحث عن الذات) ولم يعرتف به أحد . انني أنا الذي اقترحت اسم علي ماهر ليتولى رئاسة وزراء مصر بعد الثورة . وذلك لأنني أعرف علي ماهر ليس شخصياً ولكن كنت متتبعاً تاريخ حياته وكنت دائماً أعتبر علي ماهر ليس شخصياً ولكن كنت متتبعاً تاريخ حياته وكنت دائماً اعتبر علي ماهر هو رجل الأزمات ولأنه كان يتولى الحكم من خلال أزمة وسرعان ما تنتهي فور تولية الحكم . . وقلت لعبد الناصر وقلت له : انه الأصلح للظروف التي نحن مقدمين عليها فقال لي : طب اعرض عليه الوزارة فقمت على الفور ومن خلال تليفون مجلس القيادة واتصلت بعلي ماهر وقلت له : انا عايز أفوت عليك دلوقتي حالاً . . فعلي ماهر استعجب وقال لي : اتفضل .

وبدأت أنا الحديث وفاتحته في أمر تولية رئاسة الوزراء وبعد ما تحدثت وبدأ هو النقاش قال لي : لا بد ان استأذن الملك . . وفوجئت ساعتها بأنور السادات يوجه شتائمه الى الملك فضغط على قدمه من

تحت المنضدة فتوقف على الفور . . لأنني كنت أعرف أن علي ماهر هو رجل الملك وإذا كنا نريد أن نخلع الملك فليس عن طريق علي ماهر يخلع الملك لكننا كنا في الوقت نفسه في احتياج الى علي ماهر كرجل سياسة في هذا الموقف وبدأت الاتصالات بين علي ماهر والملك الى ان تولى علي ماهر رئاسة الوزارة .

● عفواً استاذ إحسان عبد القدوس . . حين طلبت علي ماهر وقلت انك تتحدث من القيادة العامة . . قال لك علي ماهر بصوته : « الباشا في الحمام . . استنى شوية لما نبلغه ؟

هل ليترك لنفسه فسحة من الوقت ليفكر في الأمر ؟

●● أظن ذلك لكنه لم يغلق التليفون ثم عاود وتحدث الي في الأمر .

وقلت لعبد الناصر بعدها أنا ذاهب لعلي ماهر فقال لي : خذ معك انور السادات ثم قال لي بعدها وخذ معاك كمال الدين حسين والحقيقة انني سررت ليس لأنهم مكلفين معي ولكن لأن مظهر الثورة سيكون كاملاً . .

وذهبنا الى علي ماهر في سيارة « جيب » . . .

● هل حقيقة انك انت صاحب اقتراح عزل الملك فاروق التي لم تخطر على بال أحد وقتها . . حين سألك عبد الناصر وأعضاء مجلس القيادة بعد اختياره علي ماهر رئيساً للوزراء : وهل يقبل الملك فقلت لهم : الملك ليس له شأن ولماذا لا نعزل الملك ؟!

●● أنا كنت لا أكتب شيئاً بعد قيام الثـورة إلا بعد الاتفـاق بيني وبين مجلس قيادة الثورة . . وأنا بدأت اطالب بعزل الملك بعد أن قرر عبد الناصر والسادات عزله وكنت الوحيد الـذي أطالب بعـزل الملك وكان الآخرين يرفضون بـدعوى أن الملك نـظام قائم فكلفتني الثورة بأن أقيم ندوة عامة تحدث فيها د. وجيد رأفت وآخرين طالبوا بأن يبقى الملك وكنت الوحيد التي تحدث عن عزل الملك وقلت لهم : مـا هو الفـرق بين أن الملك هـو الملك أو أن يكون محمـد نجيب هو الحاكم .

لـماذا رفضت أن يجلس « ادجار جـلاد » معكم هـل لأنـه من رجال الملك ؟

●● إدجار جلاد هو الصحفي الخاص بالملك فاروق . . وأنا أعرفه جيداً وعملت معه فترة وكان من الشخصيات السيئة . . وهو معروف على أنه أكثر الصحفيين التصاقاً بالملك وكان يعمل لحسـاب الملك شخصياً . . فلما طلبوا أن يجلس معنـا أثناء الحـديث مع عـلي مـاهر بشـأن تشكيل الـوزارة رفضت . . طبعاً أنـا أعـرف أن هـذا الموضوع سيصل للملك حتماً ولكن يصل الملك عن طريق علي ماهر أفضل كثيراً من طريقة أخرى .

● أستاذ احسان عبد القدوس قبل الثورة . . اجتمع فريق من الضبـاط في منزلـك وقرروا اغتيـال الملك . . وكنت الوحيـد الـذي رفضت . . لماذا ؟

●● فـوجئت ببعض الضباط الشبـان يريـدون أن يجتمعوا بي

فقلت لهم : في مكتبي بروز اليوسف فقالوا : لا . . وأصروا على أن يكون اجتماعنا في البيت . . .

وكانوا من الضباط الأحرار . . وقالوا لي نحن اتخذنا قراراً باغتيال الملك . . ونريد أن نعرف رأيك . . . فقلت لهم : لا يمكن . . . أرفض ذلك لماذا ؟ لأنه إذا اغتيل الملك . . الانجليز سوف يدخلون ويتم تولية ولي العهد محمد علي وكأننا لم نفعل شيئاً بالعكس قلت لهم يظل الملك موجوداً حتى تحدث الثورة وبعدها نتصرف . . ورفضت اغتيال فاروق وأقنعتهم ولولا ذلك لفشلت الثورة !

صداقة عبد الناصر من التدليل المبكر الى الاحترام المبجل !

- عبد الناصر اعتقلني ثم كان يدعوني للعشاء يومياً !
- قبل السجن كنت أقول لعبد الناصر يا جيمي وبعده « سيادتك » !
- عبد الناصر اتصل بي بعد السجن ليقول لي : اتربيت ولا لسه !
- زوجتي اتصلت بعبد الناصر في التليفون وقالت له : بتسجن احسان ليه ... فجن جنونه !
- محمد نجيب قال في خطبة عامة : ساعدم احسان عبد القدوس !
- أنقذت عبد الناصر من محاولة لاغتياله في السعودية !

● لماذا اعتقلك عبد الناصر ثلاثة أشهر في السجن الحربي هل بسبب المقال الذي كتبته عام ١٩٥٤ بعنوان « الجمعية السرية التي تحكم مصر ؟! والذي طالبت فيه عبد الناصر بتكوين حزب سياسي بعيداً عن الجيش . . . وهل حقيقة اتصل بك عبد الناصر بعدها وقال لك : نفطر سوياً وظللت ثلاثة أشهر أخرى مساوية لمدة العقوبة تشاهد يومياً أفلاماً سينمائية في بيت عبد الناصر ؟!

وضحك الكاتب الكبير قبل أن يقول لي :

●● الله انت كنت معانا والا ايه . . الواقع ان الثورة كانت تمر بأزمة كبيرة بين محمد نجيب وعبد الناصر وكانت هناك فترة اطلاق حرية الصحافة بلا رقابة وكنت أرى أن مجلس الثورة لا يتصرف التصرفات التي أنا مقتنع بها في شأن مواجهة الجماهير وتبلورت قناعاتي في أن يكون عبد الناصر حزباً سياسياً بعيداً عن الجيش ويصبح رجلاً سياسياً ويدخل الانتخابات وكنت متأكداً وواثقاً من نجاحه .

وكان مقالي في منتهى الصراحة ولم يقرأ عبد الناصر المقال وإنما فسر له أحدهم المقال تفسيراً على هواه . فأصدر أمراً بالقبض علي وظللت ثلاثة أشهر في السجن الحربي يحقق معي .. في الاسبوع الأول قالوا لي : انت قصدك ايه من المقال ؟!

فقلت لهم : قصدي ان عبد الناصر يعمل حزب ويدخل الانتخابات من أجل أن يثبت أن الثورة سياسية وليست ثورة عسكرية فقيل لي : وماذا لو دخل عبد الناصر الانتخابات وفاز فؤاد سراج الدين قلت لهم : لا يمكن أن يكسب فؤاد سراج الدين وإذا كسب فؤاد سراج الدين .. يبقى لا داعي للثورة مطلقاً وظللت ثلاثة شهور داخل السجن كانت كل حركة أو إيماءة لي تصل الى جمال عبد الناصر وقتها .

ثم فوجئت بأصابع الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس تلتقط « كوزاً » من الألمونيوم موجوداً على مكتبه ثم التفت لي وهو يمسكه : هذا هو « الكوز » الذي كنت أشرب فيه في زنزانة رقم ١٩ بالسجن الحربي من (١٨ ابريل ١٩٥٤ الى ٣١ يوليو ١٩٥٤) وبعد ثلاثة شهور أفرجوا عني وبعد عودتي الى المنزل بنصف ساعة فوجئت بتليفون من عبد الناصر شخصياً ويقول لي وهو يضحك : اتربيت ولا لسه ؟!

قلت له : والله أنا ما اعرفش اتربى من ايه .. عشان أقول لك اتربيت والا ما اتربتش !

فقال لي عبد الناصر : طب تعالى افطر معي غداً .

وذهبت اليه نفطر سوياً وأنا مندهش مما حدث . .

ثم دق جرس التليفون طويلاً قبل أن تمتد يده الى سماعة التليفون ليرد وبعد اعتذار رقيق منه بالتوقف لحظات عن الحوار . . ثم نادى على زوجته : « لولا . . لولا . . تليفون علشانك » . . ثم دخلت السيدة لولا وبعد التحية امسكت بسماعة التليفون لتتحدث . . فقلت للكاتب الكبير إحسان عبد القدوس .

● معذرة . . حديث السيدة « لولا » في التليفون يذكرني على الفور . . بحديثها الى الرئيس جمال عبد الناصر في التليفون أثناء سجنك حيث عنفته كثيراً ؟!

●● « لولا » متحملة مسئوليتي كاملة . . أنا لا أتصور حياتي بدونها خاصة انني عشت معها أكثر مما عشت بدونها . . لذلك أول ما أمر عبد الناصر بالقبض علي وأودعني السجن . . فزعت زوجتي جداً وهي أساساً تعرف زوجة عبد الناصر لأنها كانت جارتها في العباسية . . وفكرت زوجتي أن تتصل بعبد الناصر واهتدى فكرها أن تحصل على رقم تليفونه الخاص والمباشر من ابن عمها اللواء محمود المهليمي واتصلت بعبد الناصر ورد هو شخصياً عليها وكانت مفاجأة كبيرة بالنسبة له ولكن تماسك بأعصابه كما هي عادته وقالت له :ـ

ـ تسمح تقول لي انتوا سجنتوا إحسان ليه ؟!

فرد عليها عبد الناصر

ـ احنا ما سجنهوش . . واهو عامل مؤامرة !

فقالت له :

ـ إحسـان لا بيعمل مؤامـرات ولا حاجـة . . إحسان بيكتب وبس . . إذا كان فيه شيئاً من الذي يكتبه يستحق أن يدخـل بسببه السجن . . قولي عليه ؟!

ورد عليها

ـ لا . . مفيش حاجة من اللي بيكتبها تستحق أن يدخل بسببها السجن .

ولكن لهـذا الموقف أثـراً كبيراً عـلى عبد النـاصر . . فقد جن جنونه وسأل من حوله : كيف عرفت زوجة إحسان عبد القدوس رقم تليفوني الخاص ؟!

وظلت المخابرات العـامة تسـأل وبعثوا بـالمخابـرات يسألـون زوجتي : من أين حصلت عـلى رقم التليفون الخـاص للرئيس جمال عبـد الناصر ؟ . . . ولم تقـل بالـطبع . . وظلوا يتحـررون سنتين أو ثلاث سنوات . . حتى تيقنوا ـ لا أعرف من أين ؟ . من أنها حصلت على رقم تليفون عبد الناصر من ابن عمها اللواء محمود المهليمي . . ولهذا خرج من الجيش الى الاستيداع فوراً !

ولكن بعد ذلك . . كنت كلما أقابل عبد الناصر يسألني :

ـ إزاي مراتك ؟!

وأقول له ـ كويسة بتسلم عليك ؟ .

. . . لم ينس لها هذا الموقف أبداً .

* * *

نشر الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس مقالته الشهيرة « الجمعية السرية التي تحكم مصر » والتي تعرض بسببها للحبس في السجن الحربي لمدة ثلاثة شهور بأمر عبد الناصر . . نشرها في مجلة روز اليوسف في العدد ١٣٤٥ بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٥٤ وهذا هو نص المقالة الشهيرة :

« من يحكم مصر منذ قيام حركة الجيش انه مجلس الثورة ؟

ماذا تعلم أنت عن مجلس الثورة وما يدور فيه . .

ماذا يعلم عنه أي مصري سواء كان مقرباً من أعضاء هذا المجلس أو مبعداً عنهم ؟ .

لا شيء . . لا شيء !

إنه جمعية سرية لا تزال كما كانت قبل الحركة تعمل تحت الأرض ويجتمع أعضاؤها بالنهار والليل لا يعلم أحد عما يتحدثون وماذا يقررون !

وكان هذا هو الخطأ الأول والأكبر فأعضاء مجلس الثورة لم يستطيعوا ـ دون قصد منهم ـ أن يفرقوا بين وضعهم قبل الحركة ووضعهم بعد الحركة ولم يستطيعوا أن يفرقوا بين واجبهم كجماعة تعمل لقلب نظام الحكم وجماعة تعمل لاستيعاب نظام الحكم الثاني عاشوا فيها يخافون القانون والبوليس والمخابرات والأيام .

التي جمعت في أيديهم القانون والبوليس والمخابرات . .

كانوا قد تعودوا العمل كجمعية سرية . وارتاحوا الى هذه الطريقة في العمل ونجحوا فيها . فلم يحاولوا تبديلها أو تعديلها ،

وظلوا دائماً بعيدين . . هناك وراء الجدران . حيث لا يراهم أحد ولا يسمعهم أحد . . ويصدرون قراراتهم فجأة بلا مقدمات كأنها منشورات سرية لا يدري أحد من أين صدرت ، ولا كيف نوقشت قبل أن تصدر . .

وكان الشعب في فرحته بالثورة خلال أيامها الأولى ، يتلفت باحثاً عنهم فلا يجد أحداً منهم الا محمد نجيب . .

وكنا جميعاً نعلم أنه ليس محمد نجيب الذي يحكم . وكنت خلال هذه الأيام ألح عليهم إلحاحاً مستمراً ليظهروا أمام الشعب وكتبت في « روز اليوسف » وفي « المصري » أكثر من مقال أطالبهم بأن يتقدموا بأشخاصهم وبأوضاعهم الى الناس . لا ليصفقوا لهم بل ليحاسبوهم على أعمالهم . .

ولكنهم أصروا على أن يظلوا جمعية سرية . وكان جمال عبد الناصر يبدو في جريدة مصر السينمائية جالساً في الصف الثالث أو الرابع . وكان صلاح سالم لا يظهر أبداً . وكان الوحيد الذي يظهر في المشاورات السياسية هو أنور السادات . .

وكانوا يعتقدون أن في بقائهم وراء الجدران . انكاراً لذواتهم يجب أن يحمده لهم الناس .

وكان من واجب الناس أن يحمدوا لهم هذه الأفكار . لو لم تكن السلطة في أيديهم فعلاً ، ولم يكن من حق الشعب ان يعرف صاحب السلطة عليه حتى يحاسبه ولو لم يكن الوحيد الذي يملك السلطان لأحد حساب عليه هو الله ؟!

وكانت أعمال هذه الجمعية السرية تخفي ـ ولا تزال ـ حتى على من يتعاون معهم من الوزراء والمستشارين . .

وعندما كان علي ماهر رئيساً للوزراء الأولى عقب الثورة كان يفاجأ بالقرارات التي تصدر كما يفاجأ بها كل الناس .

فوجىء بقرار تحديد الملكية . .

وفوجىء بالقبض على زعماء الأحزاب ورجال السياسة . .

وفوجىء بجميع الخطوات التي تمت في عهد وزارته والتي كان المفروض أن يشترك في تحمل مسئوليتها . .

ثم لم يعد يتحمل مزيداً من المفاجآت .

وبعد أن تولى الرئيس محمد نجيب رئاسة الوزارة لم يتغير الحال . . وظل مجلس الوزراء وليس له من سلطات إلا سلطات إدارية وفنية . ولا يدري شيئاً مما يدور هناك في مجلس الثورة ويفاجأ كما يفاجأ كل الناس بالقرارات الخطيرة التي تصدر ويتوالى صدورها ويقرأ في الصحف أخبار الاجتماعات والمقابلات والمباحثات كما تقرؤها أنت وكما أقرؤها أنا . . حتى اجمع الوزراء المدنيون على تقديم استقالاتهم احتجاجاً على تجاهلهم وجهلهم بمجريات الأمور وقدموا استقالاتهم فعلاً الى الأستاذ سليمان حافظ الذي كان نائباً لرئيس الوزراء . ثم سحبوها بعد أن وعدوا بأن يعرض عليهم كل شيء . . ولكن كل شيء لم يعرض عليهم .

حتى بعد دخول العسكريين الى الوزارة وبعد تكوين المؤتمر

المشترك . . ظل مجلس الثورة جمعية سرية لا يعلم مجلس الوزراء ولا المجلس المشترك عنها شيئاً .

ولم يحاول أحد من الوزراء الاستقالة مرة ثانية احتجاجاً على هذا الوضع وكل ما كان يعتذر به أحدهم أمام أصدقائه قوله : انه معتقل داخل الوزارة ؟ .

وفي خلال كل ذلك كانت الظروف قد اضطرت أعضاء مجلس الثورة الى الظهور أمام الناس عرفت أسماؤهم . وعرفت صورهم . وعرفت مناصبهم ولكن أحداً لم يعرف ماذا يعملون داخل مجلس الثورة !

وكنت قد بدأت كشف الستار عن أوضاع قادة الثورة بنشر خبر صغير في « روز اليوسف » بعنوان « الرجل الثاني » قلت فيه أن جمال عبد الناصر هو الرجل الثاني في الثورة بعد الرئيس محمد نجيب . . هذا الخبر الصغير ترتب عليه نتائج خطيرة لم تظهر آثارها إلا في هذه الأسابيع الأخيرة . . ولا أستطيع اليوم سرد جميع التفاصيل !

وكنت في تلك الأيام أحاول أن أقنع القادة بضرورة الوصول الى وضع طبيعي من أوضاع الحكم واقترحت كخطوة أولى إنشاء حزب يمثل الثورة ويضم المدنيين فقط من أفراد الشعب وإذا أراد أحد من القادة أو الضباط أن ينضم اليه فيجب أن يستقيل من الجيش أولاً .

وشرحت اقتراحي في جلسات طويلة متعددة وكنت أعتقد أن تكوين هذا الحزب سينقل الثورة من ثورة عسكرية الى ثورة شعبية وسينقل مجلس الثورة الى مجلس إدارة للحزب كبقية المجالس الإدارية في بقية الأحزاب وان مجرد وجوده سيؤدي الى إجراء انتخابات ووضع الحكم في وضعه الطبيعي .

واعتقدت أني اقنعت القادة ووصلنا الى حد أن تقرر أن يستقيل أنور السادات من الجيش ليتفرغ لتكوين الحزب ثم ينضم اليه القادة بعد ذلك . .

وانصرفت مطمئناً . .

ثم . . إذا بي أفاجأ بعد بضعة أسابيع بتكوين هيئة التحرير وإذا بدارها هي ثكنات الحرس . . وإذا بالجند المدجج بالسلاح يقف على أبوابها . . وإذا رؤسائها . . كلهم ضباط ورؤساء اللجان الفرعية كلهم ضباط وخطبائها كلهم ضباط . وأعضائها كلهم منافقين !

وإذا بي أفاجأ مع الناس بعد بضعة أسابيع أخرى بحل الأحزاب . . ولم يدر القادة أنهم بحل الأحزاب قد حلوا أيضاً هيئة التحرير . . فلا يمكن أن يقوم حزب إلا في معركة مع أحزاب أخرى . . لا يمكن أن يقوم حزب بالقوة وفرضاً على الناس . .

وهيئة التحرير منذ تكونت لم تقم إلا لتمثل القوة .

القوة التي يسيطر عليها مجلس الثورة .

واستمر مجلس الثورة يعمل كجمعية سرية ويصدر قراراته كما يصدر المنشورات .

وكان هذا الأسلوب في الحكم فيه من الظلم للقادة أنفسهم أكثر مما فيه من ظلم للشعب فقد أصبحت الثورة ـ بسبب هذا الأسلوب ـ دائماً في مركز خطير مرهف حساس ، كمركز أي جمعية سرية أخرى . وأصبح القادة يعيشون على أعصابهم ويحملونها أكثر مما تحتمل كما يعيش أعضاء الجمعيات السرية دائماً . . والمعروف في كل الجمعيات السرية أن الخطأ الواحد كاف للإضرار بها ولذلك كان القادة يبذلون جهداً كبيراً مضنياً لتجنب كل خطأ ولكن الخطأ كان يجب أن يقع يوماً ما ما داموا بشراً !

ظلم القادة أنفسهم بهذا الأسلوب فحرموا أنفسهم من نصائح كثير من المخلصين وحرموا أنفسهم من رؤية كثير من الحقائق وحرموا أنفسهم من القضاء على كثير من المفاسد التي لا تزال متخلفة عن العهد الماضي أو التي جدت في العهد الجديد .

وكان هذا الأسلوب في الحكم مدعاة لعدم الاستقرار الدائم . . عدم الاستقرار السياسي وعدم الاستقرار الاقتصادي وعدم الاستقرار الشعبي .

والاستقرار لا يتأتى إلا إذا وضح الطريق أمام الناس وإلا إذا درسوا . عقلية الحاكم وسمعوا منطقة في الحكم وإلا إذا اشتركوا معه برأيهم . وإلا إذا ضمنوا عدم المفاجأة . . وكل هذا لم يكن ليتأتى مع قيام جمعية سرية تحكم مصر .

وزاد من حدة عدم الاستقرار تناقض تصريحات المسئولين وأشباه المسئولين وهو تناقض كان أيضاً من النتائج الطبيعية لاسلوب الحكم . . أسلوب الجمعيات السرية .

ولنأخذ مثلاً إعلان الجمهورية . . لقد كان الرئيس محمد نجيب يعلن كل يوم أنه ليس هناك تفكير في اعلان الجمهورية وأكد ذلك حتى أنه اتهم انصار الدعوة للجمهورية بأنهم من ذوي الأغراض . . وكان جمال لا يصرح بشيء وإذا تكلم ترك مجالاً واسعاً للتخمين . . . وكان الوزراء حيارى مساكين لا يدرون ما يأتي به القدر حتى ان أحدهم اشترك في استفتاء « روز اليوسف » فصرح بأنه يفضل النظام الملكي . ثم عاد وصرح بأنه يفضل النظام الجمهوري ثم عاد مرة ثالثة وطلب من مندوب المجلة عدم ذكر اسمه ولا رأيه .

ثم أعلنت الجمهورية . . . فإذا بالرئيس محمد نجيب وإذا بكل الوزراء مؤيدين لها . وقس على ذلك بقية المسائل الكبرى والصغرى . .

وانتهى هذا التناقض بأن فقد الناس الثقة بكل ما يقال لهم . وبكل تصريح رسمي أو غير رسمي حتى لو أقسم صاحب التصريح على المصحف الشريف .

وأدى انعدام الثقة بدوره الى انتشار الإشاعات والى قلق الرأي العام ما اضطر القادة الى استعمال العنف والى إنشاء محكمة الثورة .

وقد أفلحت سياسة العنف في تخويف الناس فسكتوا وهدأت الاشاعات الى حين ولكن القادة لم يستطيعوا بهذه السياسة أن يستردوا ثقة الناس بهم .

وكان كل ما من يقابل نجيب شخصياً أو جمال أو صلاح ويسمع منهم تفاصيل الحالة السياسية والاقتصادية يخرج وهو يتعجب كيف لا يثق الشعب بهؤلاء الرجال وكيف لا يستطيع الشعب أن يؤمن بمدى الجهد الذي يبذلونه في إصرار عجيب لتحقيق أهداف الثورة ؟ .

ولكن الشعب لم يكن يستطيع أن يقابل نجيب أو جمال أو صلاح شخصياً . ولم يكن يهمه أن يقابلهم فليس بينه وبينهم علاقة شخصية ولا مسألة خاصة إنما بينه وبينهم نظام عام ومسائل عامة . . وهو لا يرى من هذا النظام إلا كأنه جمعية سرية ويصدر قرارات مفاجئة انها المنشورات السرية . !

وهكذا بدأت الثورة تفقد الأرض الصلبة التي تقف عليها . والتي تتمثل في ثقة الشعب .

وقد أحس القادة بكل هذا وبدأوا يحاولون التغلب على أنفسهم والتغلب على نظام العمل الذي تعودوا عليه بدأوا يعدلون في تشكيلات هيئة التحرير وسحبوا الحرس من على أبوابها وأمروا جميع ضباطها بارتداء الملابس المدنية !

وقبلوا اقتراحاً بعقد ندوات شعبية يحاسب فيها الشعب

قادته . ثم بدأوا يعقدون على السياسيين اجتماعات سيشاورون فيها .

ثم بدأوا يستعدون فعلاً لإيجاد نوع من الحياة النيابية وأجروا عدة اتصالات كبيراً من المدنيين وتمثل جميع الاتجاهات توطئة لانتخاب الهيئة التأسيسية التي سيعرض عليها الدستور .

ولكن كل هذه كانت قشور وضعا لا يزال قائماً .

وكل الشعوب لا يكاد يلتفت الى هذه القشور حتى يصدم بتصريح يكشف له عن حقيقة الوضع القائم كهذا التصريح الذي تكرر والذي أعلن فيه المسئولون بأن الحياة النيابية لن تعود إلا بعد خروج الإنجليز !

ولم يكن هناك سبيل لاستعادة ثقة الناس الا أن يتغير الوضع . . ان يعمل القادة كهيئة حاكمة لا كجمعية سرية . .

ان تنتهي الثورة !

وإذا طالبت بانهاء الثورة فلست مبالغاً ولا متطرفاً . . انما هو الوضع الطبيعي فليس هناك بلد يستطيع أن يعيش في نظام ثوري الى الأبد ولا حتى عام أو عامين إنما الثورة تقوم لتقضي على نظام فاسد وتضع قطاعاً آخر بدلاً عنه فوراً نظاماً آخر طبيعياً تستقر عليه البلاد ويحقق الأهداف التي قامت من أجلها الثورة . . وإذا حدث هذا تحقق الاستقرار وتوفرت الثقة بين الحاكم والمحكوم . .

اكتب هذا تحليلاً لما تلمسه هذه الأيام عن عدم الثقة بكل ما

يقال للشعب وكل ما يوعد به.

الشعب يسمع ويقرأ ثم لا يتحرك لأنه لا يثق بما يسمع ولا بما يقرأ.. والذين يطالبون بالحرية يطالبون بها كأنهم لم يوعدوا بها.. ولا يقبلون أن يكفوا عن مطالبتهم لاعداد أنفسهم لمباشرة هذه الحرية..

والذين يصلحون لترشيح أنفسهم أو لتكوين أحزاب.. لم يبدأوا في الاتصال بالناخبين أو في جمع أعضاء الحزب.. ان الناس كلهم في انتظار مفاجأة جديدة. إحدى مفاجآت مجلس الثورة..

وهم خلال ذلك لا يثقون في شيء..

لا يثقون في قول القادة بأنهم قائمون لمحاربة الرجعية واعوان الاستعمار لأنهم لا يفهمون ما هو معنى الرجعية «ولا معنى» «اعوان الاستعمار» كما يفهم داخل جدران مجلس الثورة.

وإذا راجعنا طوائف المعتقلين منذ الأزمة الأخيرة.. وجدنا أن الإعتقال قد شمل الشيوعيين والوفديين والأخوان والاشتراكيين والمستقلين بل شمل أيضاً بعض أعضاء هيئة التحرير والحرس الوطني.. فهل كل هؤلاء من الرجعيين واعوان الاستعمار؟.

وكيف أعرف أنا وتعرف أنت اذا كنا محسوبين أمام مجلس الثورة من الرجعيين وأعوان الاستعمار. أم لا؟

هذا هو منطق الشعب..

ثم..

ما هو نوع الجمهورية التي ستعلن ؟

إن محمد نجيب قال انها « برلمانية » ثم تنازل عن كلمة « برلمانية » ـ كما ذكرت جريدة الجمهورية ـ فأصبحت « رئاسية » ثم أعلن مجلس الثورة أخيراً أنها « برلمانية » ـ. . ما هو موقف القادة من الانتخابات ؟

إن صلاح قال أنهم سيدخلون الانتخابات كمرشحين للحزب الجمهوري :
وخالد محيي الدين قال انه سيرشح نفسه . .
وجمال قال أنه ثائر وليس سياسياً وانهم لن يرشحوا أنفسهم .

ثم . .
متى تلغى الأحكام العرفية ؟
إن جمال قال انها ستلغى بعد يومين . وصلاح قال أنها ستلغى قبل الانتخابات . . ونجيب قال ستلغى مع الانتخابات .

ثم . .
هل تلغى محكمة الثورة ؟ .
إن بغدادي يقول في اختصار ستبقى ! . .
وخالد محيي الدين قال في اختصار أيضاً : ستلغى !

ونجيب قال أولاً أنها ستلغى ثم قال ثانياً أنها ستبقى فقد يكون هناك من يستحق أن يقف أمامها . .

وصلاح يقول اليوم في « روز اليوسف » انها ستلغى مع الغاء

الأحكـام العرفيـة. . عشرات من التصـريحات المتنـاقضـة كلهـا من مسئولين ولا يستـطيع الشعب أن يختـار بينهما لأنـه لا يعلم شيئاً من الحقائق التي تختفي وراءها. . لا يعلم شيئاً عما يدور داخل جـدران مجلس الثورة. .

وهـو ـ أي الشعب ـ معـذور بعـد ذلـك . إذا لم يؤمن بهـذه التصـريحات جميعـاً . وإذا لم يثق بكل مـا يقـال لـه ، ولا بكـل مـا يسمعه . . .

وما العمل ؟!

* * *

ليس هناك إلا طريق واحد. . هو أن نصدق كل مـا يقال لنـا ثم نستغله .

ان نصـدق حرية الصحافـة فنكتب ما نشـاء حتى لـو لم يكن هناك قانوناً يحمينا من الحاكم . .

وان نصدق حرية تكوين الأحـزاب فنبدأ في تكـوينها فعـلاً ما دام الحزب الجمهوري قد بدأ في الاعلان عن نفسه وفي تنظيم حملته الانتخابية . .

وان نصـدق أن الانتخابـات أتيـا لا ريب فيهـا فنعـد أنفسنـا للترشيح والانتخاب . .

وان نصدق أن الأحكام العرفية ستلغى فنتصرف كأحرار حتى قبل إلغائها . .

وان نصدق أن الرجعية معناها الدعوة لإعادة الملك والاقطاع فحسب فلا نعتبر أنفسنا رجعيين . .

هذا هو الطريق الوحيد أمامنا . .

الطريق : هو أن نعمل وأن نستغل الفرصة التي أتيحت لنا . .

إما أن نقف جامدين في انتظار مفاجأة وفوق شفاهنا كلمات السخط والنقد والتردد وعدم الثقة . . فلن يؤدي بنا ذلك الى شيء إلا أن نفسح المجال لطاغية . . والعبيد هم الذين يخلقون الطغاة » .

* * *

أستاذ إحسان عبد القدوس .

● والدتك وزوجتك كل منهما تعرض ابنه للسجن . . . من منهما الأقوى ؟!

●● الأقوى بالطبع أمي . . انها أقوى في قوة الاحتمال . . كان لا يعنيها السجن لاحساسها بأنه يزيد الكاتب صلابة وقوة في مواجهة الأحداث . . وحين حبسني محمود فهمي النقراشي لأول مرة وخرجت من السجن قالت لي :

ـ كل رؤساء التحرير سجنوا ولهذا أنت الآن تستحق أن تكون رئيس تحرير روز اليوسف بعد خروجك من السجن .

وعينتني بالفعل رئيس لتحرير روز اليوسف سنة ١٩٤٥ .

أيضاً حين سجنني عبد الناصر . . لم تنهار أمي ولم ترجو أحداً في الإفراج عني بل اتخذت قراراً خطيراً بمقاطعة الثورة في مجلة روز اليوسف فلم تكتب أي كلمة على الحكومة أو الثورة خلال مدة حبسي !

وحين سمح لها بزياراتي في السجن بعد شهرين من حبسي اصطدمت معها في النقاش وقلت لها :

- أنا هجنن . . لازم تشوف لي طريقة أخرج بها من هذا السجن !

فقالت لي بثبات ونبرة حازمة لا زالت تشق آذاني حتى الآن .

- أثبت . . خليك قوي . . ولا يهمك أنت الآن في السجن هنا مثلما تكون خارجه هناك . . ولا فرق ويجب أن تثبت على موقفك . . كن قوياً يا إحسان . . كانت روز اليوسف قوية جداً وكان لديها ثقة كاملة في أن الحياة كلها جهاد واحتمال ومثابرة من أجل المبادىء والقيم والمثل العليا . . وانه مهما سجنت من أجل الحق والحرية فإن ذلك شرف كبيراً ووساماً على صدرك عندما تخرج من السجن وتعود ثانية الى الحياة .

زوجتي على العكس حين سجن السادات ابني محمد لم تتحمل . . وأنا رفضت أن أتحدث الى السادات في شأن ابني وأرجو أي مخلوق آخر من أجل الوساطة لابني . . من منطلق أنني إذا قبلت الوساطة لابني لا بد أن أتعهد بأنني سوف أغير طريقه . . وهذا ليس من حقي أن أغير طريقه ولكن من حقه هو فقط ورغم أنني حذرت

زوجتي من أن تتصل بجيهان السادات أو أي مخلوق. . إلا أنها كانت تتصل بوزير الداخلية ومأمور السجن كل يوم وتسأل عن ابنها. . إذا كان تناول طعامه أو رفض. . وكانت تبكي رغم أنها لديها القدرة على التحمل ولكنها معذورة لأنها أم أولاً وأخيراً .

● حين خرجت من السجن ودعاك عبد الناصر الى زيارته في منزله وأثناء دخولك حجرة السفرة للعشاء قال لك على باب الحجرة قبل الدخول . اتفضل يا إحسان فقلت له : العفو يا افندم اتفضل سيادتك فنظر اليك عبد الناصر مندهشاً لأنك كنت تقول له قبل سجنك : يا جيمي ! وقال لك عبد الناصر يومها جرى ايه يا إحسان . . انت اتغيرت نفسياً . .

استاذ إحسان هل أثر السجن كثيراً في علاقتك بعبد الناصر ؟!

●● قال لي عبد الناصر : جرى لك ايه يا إحسان . . قلت له : جرى لي كثير قوي ! ومن يومها ظل يدعوني للعشاء في بيته ثم نشاهد أفلام سينمائية كانت تعرض في ملعب التنس في منزله . . من أجل أن أنسى ما حدث . . لكن لم أستطع أن أتجاوب التجاوب الطبيعي الكامل الذي كان بيني وبينه من قبل . . أحسست أن عبد الناصر حاكم وليس مجرد صديق . . فمن يوم أن دخلت الزنزانة فقدت الاحساس بالصداقة بيني وبين عبد الناصر !

● هل تضايق منك عبد الناصر لأنك كتبت تطالب بقانون الإصلاح الزراعي مؤكداً أن الأرض يجب أن تؤخذ عن الأغنياء

وتوزع على الفقراء . . فقال لك عبد الناصر أنت بتكتب عشان تبين للناس أنك من الكتاب الذين تلبى طلباتهم ؟!

●● بعد أن حبسني عبد الناصر أحس أنني لا أمثل خطراً عليه لعدم ارتباطي بأي جهة أو أشخاص لهم ميول سياسية ضده . . وان آرائي نابعة من ذاتي ومن إرادتي الشخصية وليس لحساب أحد . . فكانت آرائي التي يعجب بها لا يناقشني فيها ولكن التي لا تعجبه يحدثني بشأنها ويناقشني دون أن يحمل في نفسه شيئاً تجاهي . . لأنه يعرف مقدماً أنني لست ضده حتى ولو لم أكن معه .

● لماذا غضب منك محمد نجيب حين كتبت تقول أن جمال عبد الناصر هو الرجل الثاني في القيادة . . رغم أن ذلك كان معروفاً للجميع ؟!

●● محمد نجيب غضب مني لأنه اعتقد واهماً أنني من رجال عبد الناصر بل الأدهى من ذلك أنه أعلن في إحدى خطبه على الملأ : إحسان عبد القدوس دا أنا ساعدته ؟ فقد قرر محمد نجيب اعدامي !

وكان الموقف صعباً للغاية . . لكنني مع ذلك كنت مطمئناً الى محمد نجيب وأحبه وكثيراً ما كنت أجلس معه لنتناقش سوياً . . أما جمال عبد الناصر فقد غضب مني لدرجة أن حبسني . . الاثنين على قدر ما كانوا معتمدين علي كانوا في نفس الوقت اكثر الناس اختلفا معي . ومع ذلك فأنا أعتز برأيهم في شخصي في النهاية فالاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية .

ومرت علينا فترة في بداية الثورة كان يمتنع فيها أن تقول أن جمال عبد الناصر هو المسئول عن الثورة. . رغم أن الجميع كان يعلم ذلك. . حتى جاءت فترة تالية سمح فيها بأن يقال أن جمال عبد الناصر هو الرجل الثاني وكانت العلاقة بينه وبين محمد نجيب طيبة فكتبت أنه جمال عبد الناصر هو الرجل الثاني ثم فجأة اهتزت العلاقة بين نجيب وعبد الناصر فغضب نجيب مني لأنني كتبت ذلك .

● أستاذ إحسان عبد القدوس. . هل حقيقة أنك أبلغت عبد الناصر بمحاولة لاغتياله في السعودية حين أبلغك بذلك صديقك الأمير عبد الله الفيصل وكان وقتها وزير داخلية السعودية ؟

●● هذا صحيح فكنت في زيارة للسعودية لأول مرة عام ١٩٥٤لأداء مناسك الحج وقابلت صديقي الشاعر الأمير عبد الله الفيصل وكان وزيراً للداخلية وأطلعني على مؤامرة لاغتيال عبد الناصر بالسعودية حيث كان من المقرر أن يزورها وقدم لي المستندات التي تثبت ذلك وقال لي : أنا أفضل الا يأتي عبد الناصر الى السعودية حرصاً على حياته . وحين عدت الى القاهرة حاولت مقابلة عبد الناصر دون جدوى. . فقابلت زكريا محيي الدين وكان وقتها رئيساً للمخابرات العامة . وقدمت له الأوراق والمستندات الخاصة بجماعة في السعودية كانت تدبر محاولة لإغتيال عبد الناصر. . وفعلاً ألغى عبد الناصر رحلته للسعودية . . وظل عبد الناصر يحمد لي هذا الفضل والجميل ويعتز به ولقد عشت طول أيام

جمال عبد الناصر في حمايته شخصيا لأن الكثيرين حاولوا أن يتخلصوا مني وكان عبد الناصر هو منقذي منهم !

● أستاذ إحسان عبد القدوس . . كنت مراسلاً حربياً في حرب اليمن حيث سافرت اليها في مارس١٩٦٣ وتابعت الحرب لحظة بلحظة . . ما هو رأيك في حرب اليمن بعد ربع قرن على ثورتها ؟ ! هل هي حقيقة كانت بداية النهاية لنكسة يونيو١٩٦٧ ؟

●● لا شك أن حرب اليمن كانت لها تأثيراً كبيراً . . أولاً التأثير العالمي والسياسي وجود مصر في اليمن على موقفها الذي كان ضد الأمريكان حيث كانت مصر أيامها وثيق بالجبهة السوفيتية . . وقد وصلت الحرب الى حد المعارك على السعودية وقتها فكان لازماً كوضع عالمي عام أن يقضي هذا الخطر ويقضي على مصر حتى لا تكون خطراً مهدداً هذا من ناحية . . ومن ناحية أخرى كانت هناك دوافع شخصية مؤثرة على جمال عبد الناصر لأننا في حرب اليمن لم نحقق كل الذي نريده بالسهولة التي كنا نتصورها . . وقد بدأ عبد الناصر يلعب لعبة « شرم الشيخ » على اعتبار أنه لو قدر أن يغلق شرم الشيخ أو يسيطر على الخليج ضد اسرائيل يعتبر نصراً كبيراً جداً يضع مصر على قمة القمم العربية . وهذا الوضع في الحقيقة لم يقدر عبد الناصر حسابه جيداً . لأنه لم يكن يعتقد أن الأمر يمكن أن يصل الى حد الحرب انما كان يعتقد أنها عملية سياسية يمكن ان تنتهي سياسياً . . وقامت الحرب فكانت فضيحة كبرى في صلاحية الإدارة العسكرية داخل مصر لأن كل شيء كان بالصدفة ولأن عبد

الناصر اعتمد على نصيحة الروس.. لا تبدأ بالهجوم وقال في عناد : أنا لن أبدأ بالضربة الأولى.. وطبعاً صاحب الضربة الأولى هو المنتصر في أي معركة فكانت النتيجة أن إسرائيل والأمريكان هجموا علينا وانتهت الحرب في ٦ يونيو ١٩٦٧ وأنا أعتقد أساساً أنه إذا كانت اسرائيل قد قامت بالحرب فإن أمريكا قد زودتها بما تحتاج اليه من عوامل النصر في تلك المعركة .

الاغتيال السياسي .. مشهد تكرر خمس مرات أمام عيني !

- الملك فاروق حاول اغتيالي بعد الثورة وزوجتي انقذتني في آخر لحظة !
- أسلوب زكي بدر لا يتفق مع أسلوب الوزير أو الرجل السياسي !
- قفزت من فوق سطوح العمارة هروباً من بطش شباب الوفد !
- زوجتي كانت تشهر المسدس في الشارع لحمايتي !
- القذافي أرسل من يغتالني وسرقوا منه المسدس !

● أستاذ إحسان عبد القدوس. . لا أكون مبالغاً لو قلت أنك أكثر الكتاب في مصر تعرضاً للاغتيالات السياسية. . أكثر من أربع محاولات لاغتيالك. . لكن هل حقيقة حاول الملك فاروق بعد الثورة اغتيالك حين كنت ستقابله في فرنسا بعد تحديد موعد بالفعل مع سكرتيره. . وان الموت كان في انتظارك عن طريق حرس الملك الذي كلفهم بقتلك وإخفاء جثتك ؟!

●● هذا صحيح. . فقد حاولوا اغتيالي أربع مرات. . المرة الأولى في أعقاب قضية الأسلحة الفاسدة. . وقد حاول المجرم وكان عاملاً طعني من خلف رأسي فانزلقت السكين على فروة الرأس وكان ذلك أسفل عمارة الايموبيليا حيث كنت خارجاً من أحد المطاعم. . وكانت محاولة اغتيالي بإيعاز من النبيل عباس حليم. . ولم أعرف وقتها بالطبع أنه الدافع لقتلي حيث فوجئت به يدخل على المنزل وفي يديه طبق كبير من المارون جليسه وهو يقول لي : « المجرم الكبير حضر لتهنئة البطل الكبير » قالها فعلاً لأنني كنت حبسته من خلال

قضية الأسلحة الفاسدة وطبعاً لم يخطر ببالي أن عباس حليم وقتها هو الذي أمر بقتلي إلا بعد الثورة عندما أعيد فتح التحقيق في هذه المحاولة واعترف العامل بذلك . أما الملك فاروق فقد حاول اغتيالي بعد الثورة وذلك حين التقيت بسكرتيره الخاص في اجتماع رؤساء التحرير العالميين في مدينة « كان » بفرنسا وقلت له : هو الملك سيظل طول عمره يدفع بنفسه نحو الهلاك ! هو بيهاجم الثورة ليه ؟؟ . . الثورة عاملته أحسن معاملة وتركته في أمان وتركت له ثروته . . وكان الملك قد نشر حديث ساجم فيه الثورة بعد خلعه في صحف الخارج . فقال لي سكرتيره : أنا لا أستطيع أن أنصحه فقلت له : أنا مستعد أن أتحدث اليه وأعقله ؟! فقال لي : اتفقنا سأحدد لك موعداً وبالفعل تم تحديد الموعد في الساعة ١١ ظهر اليوم التالي !

من التي سمعت بهذا الخبر . . زوجتي وكانت معي في هذه الرحلة . . قالت لي : لا تقابل فاروق . . كيف تقابله ؟ هو معتبرك أنت الذي قمت بالثورة؟! . . فقلت لها انها خبطة صحفية . . اعمل حديث مع الملك فاروق الآن ؟! وظلت زوجتي تتوسل إليّ لدرجة أنها بكت . . فبدأت إفيق من الشهوة الصحفية وطاوعتها ولم أقابل فاروق وأرسلت ورقة لسكرتيره : آسف اضطررت للسفر فجأة ! . ثم فوجئت بسكرتيره بعد ذلك بعام اختلف مع فاروق وعاد وكتب مذكراته وفيها : انهم اتفقوا على قتلي . . فاروق قرر قتلي عن طريق حرسه الخاص الألبانيين بحجة أنني ذاهب لقتل الملك . . فيقتلني هو !

● هل وجه اليك وزير الداخلية زكي بدر إهانة من خلال اجتماعه بمجلس إدارة نقابة الصحفيين من أجل تصفية الخلافات بين وزير الداخلية والصحفيين. . وبسبب ذلك حدث الاعتصام في النقابة لأكثر من ٦٠٠ صحفي احتجاجاً على تصرفات وزير الداخلية ؟!

●● طبيعة زكي بدر وزير الداخلية لا تحتمل الاسلوب الديمقراطي السليم فهو دائماً يوجه شتائمه. . وكان يتحدث عن واحد كاتب خبر وقال عنه : سافل ابن سافل. . هو في الحقيقة لم يكن يقصدني أو يقصد محمد لأنه لم يكن يعرف من اللذي كتب الخبر ولكن « محمد » قام وقال له بشجاعة أنا الذي كتبت الخبر ولا أسمح لك أن تشتم والدي. . وقال له تبقى أنت كمان سافل .

أسلوب وزير الداخلية بالتأكيد خطأ وهذا يعود بالدرجة الأولى الى نجاحه في السيطرة على المجرمين مما جعله يعتقد واهماً أن كل شخص كذلك في طريقه الحديث اليه. . لكنه في الحقيقة لم يكن يقصدني ولا شك أن الاعتماد على زكي بدر في حفظ الأمن كبير وهذا ما اشتهر به ولكنه أسلوبه لا يتفق مع أسلوب الوزير أو الرجل السياسي .

● هذا يقودنا الى ذكرياتك التي لا تنتهي مع وزراء الداخلية في مصر. . هل تتذكر يوم أن حبسك فؤاد سراج الدين وكان وقتها وزيراً للداخلية ؟!

●● وهل أستطيع أن أنسى ذلك. . حبسني لأنني نشرت

خبرا في روز اليوسف . . وكامل الشناوي الله يرحمه لعب لعبة دمها خفيف. . حضر معي الى النيابة وهو يعلم مسبقاً أنهم سوف يدخلوني الحبس فقال لوكيل النيابة :

ـ فؤاد باشا لم يتصل بك

فقال له وكيل النيابة :

ـ لا . . من أجل ماذا ؟!

ـ كيف لم يتصل بك. . لقد اتفق معي على أنه سوف يتصل بك لأنه لا يريد لإحسان أن يدخل الحبس !

أرجوك عشان خاطري يتم تأجيل القبض على إحسان للغد حتى يتسنى لي مقابلة فؤاد باشا لكي يتصل بك !

ودخلت اللعبة على وكيل النيابة وكان يدعى « قاويش » الذي أفرج عني وذهبت أنا وكامل الشناوي الى فؤاد باشا في الإسكندرية. . ووقفت في الشارع ودخل كامل الشناوي الى الكابينة وظل مع فؤاد سراج الدين ساعتين ولم يستطع اقناعه بأن يتحدث مع وكيل النيابة بشأن الإفراج عني. . وصمم فؤاد سراج الدين على حبسي لأنه أراد أن يجامل الوزير الذي نشر الخبر عنه. . واضطررت في اليوم التالي أن أذهب بنفسي الى النيابة ودخلت السجن بنفسي لمدة أربعة أيام ثم أفرج عني .

● أستاذ إحسان عبد القدوس. . لماذا تكره الوفد. . هل لأن فؤاد سراج الدين أمر بحبسك حين كان وزيراً للداخلية أم لأن

شباب الوفد حاولوا قتلك بعد أن اعتقدوا أنك السبب في الإعتداء على منزل النحاس باشا ؟!

●● طول عمري ضد الوفد ولست وفدياً وأعارض الوفد دائماً ولكن لا آخذ المسألة على أنها عداء بل هي إبداء للرأي فقد كنت صديقاً للعديد من الوفديين منهم عبد العزيز فهمي وأخوه فؤاد سراج الدين . . وطبعاً أنا كنت ضد الاعتداء على بيت النحاس باشا وكنت رئيساً لقسم الأخبار وقتها في جريدة الزمان المسائية وذهبت لإجراء تحقيق صحفي عن الحادثة وكنت على صلة طيبة بأخوه فؤاد سراج الدين وما ان دخلت المنزل فوجئت بشباب الوفد التفوا حول بيت النحاس باشا وقرروا أن يقتلوني انتقاماً ورد شرف للاعتداء على بيت النحاس وهم متأكدين أنني لم أعتدي على بيت النحاس باشا ولكن مجرد انتقام وحين نزلت من بيت فؤاد سراج الدين هجموا علي محاولين قتلي ولكن أنقذتني زوجة عبد العزيز البدراوي التي خرجت من شقتها ومعها أولادها وكانوا في مثل سني . . وصرخت فيهم وجذبتني الى داخل الشقة وأغلقت الباب . . وتحرش شباب الوفد خارج البيت مهدّدين بقتلي حتى كانت الساعة التاسعة ليلاً حين قفزت من فوق سطوح العمارة من بيت الى آخر حتى نزلت في شارع القصر العيني لغاية ما أنقذت من الموت !

* * *

ولقد كتب إحسان عبد القدوس مستحثاً شباب الوفد عليّ

التحرك لمواجهة الإنجليز كما واجهوا المعارضين عام ١٩٣٦ومؤكداً على أن موقف نواب الوفد يلقى ظلاً ثقيلاً من الشك على الحكومة وذلك في مقالته التي نشرها في مجلة روز اليوسف في١٢ اكتوبر ١٩٥١ بعنوان « أين القمصان الزرق يا شباب الوفد » والتي كتب فيها :

لقد أمسكت الحكومة بذيل الأسد ، وعلى الشعب أن يسدد له الطعنات . .

لقد فتحت الحكومة الطريق ، وعلى الشعب أن يسير فيه . .

لقد أقلقت الحكومة الاحتلال وعلى الشعب أن يقضي عليه . .

وليس هناك وقت للإنتظار فإن الاحتلال يرتب شئونه في منطقته ، وإذا سارت الأيام على هذا الهدوء والاسترخاء وضاعت بين المجادلات فسيأتي يوم تفاجأ فيه بإنفصال منطقة القنال عن مصر كما انفصل عنها السودان وبخروج المصريين منها أو قتلهم على أرضها . حتى لا يبقى منا هناك إلا كل ذليل قبل أن يلعق أحذية الإنجليز نظير لقمة العيش . .

وإذا حدث هذا فسيكون خطأ الشعب الذي اعتمد على الحكومة ، وسيكون خطأ الحكومة التي اعتمدت على الشعب .

ولذلك فإننا لن ننتظر ، وإذا كانت الحكومة قد أعدت شيئاً للوقت المناسب فلتنتظر هي ، ولكننا ـ نحن الشعب ـ سنتحرك اليوم . .

ستتحرك لطرد الإنجليز ثم نتحرك لطرد الحكومة إذا حاولت أن تعوق حركتنا .

بقيت كلمة تقال للوفديين ، لا للحكومة . .

ففي معركة التنظيم والإستغاثة التي تدور هذه الأيام ترتفع أسماء الأخوان المسلمين والاشتراكيين ، والشباب المسلمين . . أين أسماء الوفديين ، وخصوصاً حضرات النواب الوفديين ، وكل منهم يملك بين يديه ومن حوله جميع المقومات التي تحتاج اليها هذه الحركة ؟!

أين هم ؟!

لقد قرأت لأحد النواب الوفديين خطاباً وجهه الى وزير الداخلية يطلب منه السماح له بتسيير مظاهرة من أنصاره ورجاله يبلغ تعدادها ألفي رجل مسلحين بالبنادق الحديثة سريعة الطلقات . .

لماذا يطلب حضرة النائب المحترم إذناً من وزير الداخلية ؟

ولماذا يريد الاكتفاء بعرض رجاله في شوارع القاهرة ، وربما أصر على أن يتقدمهم الطبل البلدي ، وفرقة من الراقصين بالعصي ؟!

لماذا لا يسير بهم الى القنال ، بعد أن ينظمهم تنظيماً فنياً يصلح للقتال ؟

ثم . .

لقد استطاع الوفد في وقت ما - كحزب لا كحكومة - أن يؤلف جيشاً كاملاً من الشبان يرتدون القمصان الزرق ، استطاعوا أن يملكوا مصر بعصيهم ، وكان رئيسهم الدكتور بلال . . .

والدكتور بلال الآن نائب من نواب الوفد ، ورئيس للشبان الوفديين ، ولكن : أين القمصان الزرق !؟

أين هم لنواجه بهم الانجليز ، كما واجهوا المعارضين عام ١٩٣٦؟

إن موقف نواب الوفد يلقى ظلاً ثقيلاً من الشك على الحكومة .

هل منعتهم الحكومة من التحرك ، أو على الأقل من التبرع أو حتى من الكلام !

إن النواب يمثلون الشعب، لا الحكومة - بحكم الدستور - والذي يقف منتظراً اليوم لا يمثل الشعب .

***

● حين منحك مرتضى المراغي وزير الداخلية مسدساً للدفاع عن نفسك . . هل حقيقة رفضت أن تستعمله . . وكانت زوجتك السيدة « لولا » تقف في الشارع وأنت تركن سيارتك شاهرة المسدس في انتظار على أي أحد يقترب منك ؟!

●● عرض علي مرتضى المراغي حراسة خاصة وأنا لا أخفي

عليك أضيق بالحراسات الخاصة لأنني أعتبرها قيداً على حريتي . . أينما أتحرك ولو في زيارات خاصة يلازمني كظلي ذلك الحارس . . فرفضت الحراسة الخاصة . . فقال لي مرتضى المراغي وزير الداخلية : ما دمت تضيق بهذه الحراسة أنا سأعطي لك مسدساً للدفاع عن نفسك . . وقال لي أتمرن عليه ! . . وأنا لست من هواة الأسلحة مطلقاً ولكن زوجتي كانت تحمل المسدس عند عودتنا ليلاً بعد حفلة سينما أو زيارة عائلية . . تسير في الشارع شاهرة المسدس . . هي التي تحمله . . وأنا أعزل من أي سلاح . . والحمد لله لم تستعمله !

● وما رأيك الآن في فؤاد سراج الدين وحزب الوفد الجديد ؟!

●● أنا أعتبر فؤاد سراج الدين من الشخصيات السياسية الناجحة فهو يمثل طبقة أصحاب الأرض . . الطبقة الاقطاعية الرأسمالية بكل ما تحمله هذه الطبقة من اتجاهات . . وأنا أعترف بذكائه وأسلوبه ومهارته السياسية بدليل أنه استطاع أن يستأثر بمصطفى النحاس وأن ينتزعه من مكرم عبيد الذي كان مسيطراً عليه . . وخرج مكرم عبيد من الوفد بينما ظل فؤاد سراج الدين يواصل مسيرته السياسية .

وقد قلت لفؤاد سراج الدين . . رغم أنك تعرضت للسجن والحرب السياسية الشعواء كثيراً بعد الثورة إلا أنك لم تفطم نفسك عن الأمل . . في أن تعود ثانية الى الحياة السياسية حتى استطعت أن

تكون حزب الوفد من جديد .

فؤاد سراج الدين في رأيي من الشخصيات التي لديها قوة احتمال كبيرة في الحياة السياسية وبعد ذلك نحن مختلفين في الرأي السياسي نهائياً . . لكنني لا أشعر تجاهه بكراهية رغم أننا مختلفين في المبادىء والآراء السياسية .

● حدثت لك حادثة سيارة عام ١٩٦٨ وكسرت ساقك وأصبت في رأسك بجراح دامية . . هل لأنك كنت شارد الفكر أم أنها كانت محاولة حقيقية لاغتيالك ؟!

●● مسألة حادثة عام ١٩٦٨ لا أعتقد أنها مقصودة لاغتيالي ولكن حدث فيها بعض الشوائب لأن الذي أصابني كان طالباً ألمانياً ابن مدرس ألماني وقد قبض عليه فعلاً وقد أفرجوا عنه على أن يتحفظوا عليه واستبقائه لمحاكمته ولكن فوجئنا بأن هذا الطالب قد سافر رغم أنه ممنوع من السفر وقد حاولوا معي للتنازل من القضية ولكني رفضت لكن يبدو أن والده قد سعى لشخصية ذات نفوذ كبيرة في البلد وقتها لتهريبه خارج مصر .

لكن أنا لا أعتقد أن حادثة اغتيال ولكن تصادف أيامها أنني كنت على خلاف مع المجموعة التي سيطرت على الحكم وطردوني من أخبار اليوم وأصبحت مشرداً ومتهماً أنني ضد البلد فالناس قالوا أيامها أنها محاولة لاغتيال إحسان عبد القدوس .

● إحتج القذافي على مقالاتك وطلب من السادات أن

يحبسك ولكنه رفض وقدم القذافي بلاغاً الى النيابة العامة مرتين . . هل حقيقة حاول القذافي اغتيالك عن طريق سكير جلس في إحدى بارات الاسكندرية يهذي بالشروع في جريمته فاكتشفوا ذلك ؟!

●● كنت أول كاتب في مصر يفقد الثقة في أهداف القذافي . . ودائماً ما كنت أحذر السادات من شخص القذافي ولو أن الكثيرين من حول السادات وقتها كانوا من المؤمنين بالقذافي .. وقد كتبت ثلاث مقالات حضر القذافي الى القاهرة وطلب من أنور السادات أن يحبسني فرفض السادات وكان وقتها التجاوب بيننا متكاملاً والصداقة ممتدة فقدمني القذافي للنيابة مرتين وفي كل مرة النيابة تفرج عني دون أن تحبسني فقرر القذافي اغتيالي . . ولقد تمت اكتشاف خطة اغتيالي بالصدفة المحضة لأنه كان المكلف بإغتيالي واحد من المخابرات الليبية كان يلف ويدور حول منزلي في الزمالك وحدث أنه كان يحتسي الخمر في البارات وسرق منه مسدسه فذهب الى الإسكندرية حيث كان مركز المخابرات الليبية بالإسكندرية ثم جلس في إحدى البارات بالإسكندرية يسكر ومن حوله شلة وجاءت سيرتي في ثنايا الحديث فقال لهم : آمال أنا باعمل ايه . . اعتبروا إحسان عبد القدوس انتهى ! وتصادف أن كان جالساً وقتها بجانبه أحد رجال المباحث فأبلغ السلطات وقبضوا عليه واعترف اعترافاً كاملاً بمحاولة اغتيالي وقد تم مواجهته حيث سافر للإسكندرية خصيصاً وقلت له : انت عاوز تقتلني ليه ؟! والله أنا ما اعرفش عنك حاجة غير اني شفتك في السينما في بعض الأفلام . . هو يقصد

بالطبع مشاهدة أفلام قصصي ولكنها التعليمات ! وقد حكم عليه بـ ١٥ سنة سجن .

***

كتب إحسان عبد القدوس منتقداً السياسة الليبية وتصرفات القذافي في مقالته بجريدة في أخبار اليوم بتاريخ٢٧ ابريل ١٩٧٤ تحت عنوان : « انهم ـ الى الآن فاشلون » وقد أحدثت هذه المقالة ردود فعل في الأوساط السياسية لأنها كانت أول مقالة يهاجم فيها القذافي وسياسته علناً في مقالة صحفية .

وكتب إحسان عبد القدوس في بعض فقراتها يقول :

« الإتجاه السياسي في ليبيا يعتمد على القدرة على صم كل خطب جمال عبد الناصر وكل تحركات عبد الناصر . . والعقلية الصحافة تعجز عن هضم ما تقرأه وتعجز عن تقدير الأهداف والظروف والأسباب التي دفعت الى ما تقرأه وبالتالي تعجز عن عملية الابتكار أو الخلق السياسي الذي يتمشى مع تطور وتغير الظروف التي تحيط بالأهداف . .

وربما كان أبرز ما يمكن أن تتأثر به العقلية الصحافة التي تكتفي بالترديد والتقليد هو أن عبد الناصر كان يعتمد على شعب يتميز بين باقي الشعوب العربية بقدرته على تجنيد أكبر عدد من المقاتلين . . أي بناء جيش قوي بالنسبة للجيوش العربية . . في حين أن القوة التي تتميز بها القيادة الليبية هي قوة دخل البترول الذي

يعتبر من أضخم الثروات العربية بالنسبة لعدد السكان. . ولذلك فمتى تستكمل العقلية الصمامة القوة التي تستطيع أن تردد بها ما قرأته يجب أن تحصل على جيش قوي ولذلك كانت القيادة الليبية في كل مشروعات الوحدة التي تقدمت بها تصر على أن تتولى - أي القيادة الليبية - قيادة الجيش . . طلبت أن تتولى قيادة الجيش المصري في مشروع الوحدة الاندماجية مع مصر ثم طلبت أن تتولى قيادة الجيش التونسي في مشروع الوحدة الاندماجية مع تونس. . المهم الجيش. . حتى تستطيع أن تصل به الى قوة شخصية جمال عبد الناصر السياسية وتحقق بها أهدافها حتى لو اختلفت عن أهداف عبد الناصر. .

وهذا ما دفع بعض المحللين ممن تجمعهم أرصفة الشارع السياسي الى التعليق ساخرين بأنه إذا كان هدف القيادة الليبية تحقيق الوحدة للاستيلاء على قيادة الجيش وهو قوة مصر فإنه يجب أن تتولى شخصية مصرية قيادة البترول الليبي لأنه قوة ليبيا وتتعادل بذلك القوتان الاقليميتان داخل اطار الوحدة القومي. . وهذا مجرد كلام. . نكتة . .

والواقع ان السياسة الليبية هي خلية لما كتب ونشر عن تاريخ ثورة ٢٣ يوليو لأنه لم يكتب حتى الآن التاريخ الواقعي للثورة . . »

« وبعد ٦٧ بدأ كل شيء يتغير. . وبدا جمال عبد الناصر يستفيد من التجارب العنيفة التي مرت بها الثورة ليبدأ طريقاً جديداً وهو الطريق الذي يسير فيه الآن أنور السادات . .

وأنا أشير الى هذا التاريخ باختصار سريع حتى أساعد القيادة الليبية على أن تضع ما تحفظه صماً في وصفه الصحيح بالنسبة للظروف التي مرت بها ثورتنا . . فالقيادة هناك تستعمل نفس الأساليب القديمة . . واستطاعت ان تحيل دولارات البترول الليبي . . بترول الشعب . . الى جمعيات سرية تعمل في بلاد عربية وافريقية . . واستطاعت أن تشتري به مجالات خارجية تتحرك فيها . . ولكن ثورة ليبيا ليست في حاجة الى الدفاع عن نفسها ضد أي قوة أجنبية أو قوى عربية مأجورة كما كان عبد الناصر يدافع عن ثورة مصر . .

وجمال عبد الناصر لم يكن يريد أن يصل الى حكم بلد عربي آخر . . ولهذا سيبقى الفرق دائماً متباعداً تباعداً شاسعاً بين الشخصيتين . . شخصية القيادة المصرية وشخصية القيادة الليبية . .

وماذا تفعل ؟ . .

هل نعود لإجراءات الدفاع عن الثورة ونطلق نحن أيضاً تنظيمات سرية داخل ليبيا . .

أبداً . . لن يحدث . .

وإذا كنا نسكت . . وإذا كنا حريصين سياسياً على أن نترك الثورة الليبية لنفسها فلأننا اقتنعنا أن القيادة هناك لن تتعلم إلا من الفشل . . وقد تكرر الفشل حتى الآن أكثر من مرة . . وربما كانوا هناك في انتظار فشل آخر حتى لا يتفرغوا لشراء التنظيمات السرية

وقيادتها ويضيقوا من أحلام شهوة العظمة ويرتفعوا بأموالهم عن مستوى الرشوة ليعيشوا واقع ليبيا.. الواقع الذي من الله عليه بالخير من أجل خير الشعب.. الشعب الليبي .. لا من أجل القتل..

* * *

وبعد...

إني أكتب وأنا متفائل..

متفائل بأن الإتحاد السوفييتي سيعود ويبني شخصيته الدولية بصداقتنا لا بعدائنا.. ومتفائل بأن العراق سيحل كل مشاكله بما فيها مشكلته معنا..

ومتفائل بأن ليبيا ستخرج من عزلتها وتعيش بيننا...

لست متفائلاً لأني أرجم بالغيب ولكن الآن أقوى ما يجذب الى الطريق الصحيح هو اكتشاف الطريق الخطأ..

وأقوى ما يكتشف به الطريق الخطأ هو الفشل ..

وهم الى الآن فاشلون..».

* * *

الفن من هروبي من على سور معهد الموسيقى الى شقلباظ عزيزة عيد !

- عبد الوهاب طلب مني ألا أغني أمام مفتش الوزارة وأكتفي بتحريك شفتاي !
- أول مائة جنيه رأيتها في حياتي كانت أجراً لأول فيلم !
- رفضت أسمع عبد الحليم في بداية حياته ثم أصبحت أنا الذي أبحث عنه !
- السياسيون يريدون التخلص مني فيقولون إحسان فنان والأدباء يقولون كاتب سياسي !
- عبد الناصر طلب من مدير التليفزيون أن تعرض قصتي عن الفلاحين !

● حين أدخلك والدك معهد الموسيقى لتتعلم عزف الكمان لغرس روح الفن فيك . لماذا رفضت أن تتعلم الموسيقى وهربت من المعهد ؟!

●● والدي كان فناناً موهوباً . . فنان كاتب وممثل وفي الوقت نفسه كان مهندساً في الحكومة فترك الوظيفة وتفرغ للفن لكنه اضطر بعد إنجابي أن يعود ثانية للوظيفة من أجل توفير حياة كريمة لابنه فكان يترك مرتبه بالكامل لعمتي التي كانت تتولى تربيتي ورعايتي . ويعتمد هو على أجره من الفن . . فكان من أهم أهداف حياته هو أنه لا يمكن أن يبعد عن الفن مهما كانت الأسباب . . لهذا كان أسمى رغباته هو أن يكون إحسان فناناً . . ومن أجل ذلك تعرضت لكل أنواع التجريب الفني . . أي فن . . ولهذا أدخلني معهد الموسيقى . . وأنا لا أخفي عليك ليست لدي موهبة موسيقية . . ولم يكن غريباً أن أظل شهرين أتعلم : كيف أمسك الكمنجة ؟! والسلم الموسيقي . . لكن لم تكن لي رغبة في تعلم

الموسيقى وانتهى بي الأمر الى أنني كنت أتهرب من الذهاب الى معهد الموسيقى . . إنما الموهبة الوحيدة التي ورثتها عن أبي هو موهبة الكتابة . . هو أنني أعبر عن نفسي بقلمي .

● لا شك أنك صاحب أكبر رصيد من الكتابة الذين تحولت أعمالهم الأدبية الى السينما . . هل حقيقة كنت تدخل السينما بالبيجاما وأنت صغير لدرجة أن صاحب سينما رويال قال لك : لا تأت الى السينما بالبيجاما مرة أخرى يا ولد ؟!

●● وضحك إحسان طويلاً قبل أن ايقول لي :

وأنا صغير جداً . . في ابتدائي كان هوايتي الأولى الذهاب الى المسرح والسينما وكنت أنتهز فرصة الظهر حتى تكون كل الأسرة نائمة وأتسلل بالبيجامة وأذهب للسينما في حفلة (٣-٦) لغاية ما ضبطني صاحب سينما رويال وكان يعرف والدي ووالدتي وقال لي : إزاي تجيء السينما بالبيجاما . . لن أتركك . تدخل السينما بالبيجاما مرة أخرى ! تعرف كلما دخلت أي دور سينما الآن أتذكر هذا الموقف . . وأضحك في سري طبعاً ! . .

● كان الموسيقار محمد عبد الوهاب مدرسك للموسيقى في مدرسة السلحدار . ماذا كان رأيه في صوتك . . وما رأيك في موسيقاه ؟!

●● في الحقيقة أنا لم أسعى لمقابلة محمد عبد الوهاب للاشتراك في فريق الغناء بالمدرسة فقد كان صديقاً لوالدي ووالدتي فلما عرف أن ابنهم في مدرسة السلحدار فكان حريصاً على البحث

عني . . من أجل أن يزداد تقرباً وصداقة لأبي وأمي وأدخلني الفرقة الموسيقية . . وكان سعيداً واعتبرت ذلك من باب اللعب والتسلية فأنا لم أكن أتجاوز يومها ٨ سنوات . . ودخلت فرقة الغناء التي كونها عبد الوهاب بالمدرسة ولكن صوتي كان نشازاً . وذات يوم جاء مفتشاً من وزارة المعارف يزور المدرسة وطلب مني عبد الوهاب ألا أغني قال لي :

ـ اسمع يا إحسان . . مش عايزك تغني أبداً . . حرك شفتاك . . بس ماتطلعش أي صوت !

فقد كان صوتي نشازاً للغاية . . طبعاً أنا اندهشت لأن نفس الكلام قاله أيضاً لمصطفى أمين !

الموسيقار محمد عبد الوهاب أنا أعتبره حقيقة معجزة موهوبة . . معجزة طبيعية استطاعت أن تفتح آفاقاً واسعة في مجال الموسيقى . . وهو في رأيي أحد أعمدة التطور الموسيقي بعد سيد درويش .

ولكن عبد الوهاب استمر في التطور الى أبعد الحدود ومن أجل ذلك اتهم بأنه يسرق الموسيقى من دول العالم لكنه الصحيح أنه موهوب موهبة في حدود المعجزة .

● هل كنت ستبيع أول أفلامك السينمائية إلى محمد عبد الوهاب ولكن اشترته منك عزيزة أمير ؟!

●● بعد تخرجي من الجامعة وحصولي على الليسانس

تزوجت وكانت حالتي المالية ليست على ما يرام فقد رفضت أسرتي وأسرتها مساعدتها لعدم موافقتهم من البداية على زواجنا. . وكنت كل ما أكسبه لا يتعدى العشرين جنيهاً لهذا كنت أبحث عن مورد جديد للرزق بجانب عملي كمحامي وكاتب. . وفكرت في كتابة قصص سينمائية . . وكتبت قصتين قلت : دول ينفعوا للسينما. . واهتدى تفكيري الى عرضهم على محمد عبد الوهاب باعتباره من أقرب المقربين للعائلة . . وأعرفه من قرب. . وذهبت لأعرضهما عليه ومن المفارقات الغريبة أنني قابلت الفنانة عزيزة أمير عند الاسانسير في عمارة الايموبيليا فقد كان لها مكتب في نفس العمارة بجوار مكتب عبد الوهاب وكانت صديقة لأبي وسبق وأن اشترت منه قصته « بنت النيل » التي كانت ثاني فيلم في تاريخ السينما المصرية .

وما أن رأتني عزيزة أمير حتى بادرتني قائلة :

- انت رايح فين يا إحسان ؟!

فقلت لها : رايح لعبد الوهاب أعرض عليه قصص للسينما .

فدقت على صدرها قائلة :

- إزاي تعرض على عبد الوهاب قصصك قبل أن تعرضها علي ؟!

لا فقالت وريني قصصك !

وجلست بجانبها أقرأ عليها القصتين فقد كانت قصص سينمائية مختصرة . . فاشترت القصتين بمبلغ ١٢٠ جنيهاً بواقع ستين جنيهاً للقصة. . وكانت مفاجأة لعلها أكبر وأجمل مفاجأة في

حياتي . . فقد كنت أرى لأول مرة في حياتي المائة جنيه وأمسكت لأول مرة ورقة بمائة جنيه وأنا أكاد لا أصدق نفسي . .

وظللت أعدو نحو منزلي في عابدين فقد كنت أسكن في شقة صغيرة تنازل عنها أبي بعد الزواج وكان إيجارها ٢٧٠ قرشاً . وصعدت سلالم البيت بسرعة وطرقت على الباب بشدة . وما أن فتحت زوجتي باب الشقة حتى ضربت « بلانس » وعملت شقلباظ في الشقة . . وهي لا تصدق نفسها . . قالت لي : إيه الحكاية ؟! وكانت فرحتها عظيمة فكانت أول مائة جنيه تدخل حياتنا الزوجية !

● أم كلثوم كانت تغضب منك لأنك كنت لا تذهب الى حفلاتها رغم توجيه الدعوة اليك ؟!

●● أم كلثوم كانت ولا تزال وستظل من أحب الأصوات الى نفسي فلا جدال أنها فنانة عظيمة بكل المقاييس ولكن أنا طبيعتي أنني ليس اجتماعياً بالقدر المتعارف عليه ولكني كنت أعرفها وتعرفني بحكم اللقاءات الاجتماعية العامة . . وكنت لا أحب أن أسمع أم كلثوم في الحفلات العامة لاحساسي أنني مقيد بالمتفرجين من حولي وأنا جالس أرتدي البدلة الكاملة والكرافتة حول عنقي وكل حركة بحساب فكيف أنطلق مع صوتها انطلاقاً! فكنت أتعمد أن أرفض الدعوة وأجلس في البيت أستمع اليها من الراديو . . فالاستماع الى أم كلثوم دون جمهور متعة كبيرة لأن خيالك ينسرح مع الكلمات واللحن والصوت الشجي القوي المؤثر .

وذات مرة قالت لي أم كلثوم : لماذا لا تحضر الى حفلاتي ؟!

وكان ردي عليها هو هناك نوعان من الجمهور. . جمهور يحب المظاهر وجمهور يحب صوتك نفسه. . يتفرغوا لسماعه .

وأنـا بالـطبع من النـوع الثاني. . فـأنـا مـع صـوتـك أستقـل بنفسي. . أبعد عن الدنيا كلها لأتفرغ لصوتك وحده. . وطبعاً رغم هذا كانت أم كلثـوم تلومني. . رغم أنها كانت تعـرف طبيعتي وأنني لست متعمداً رفض الدعوة للتعالي أو شيئاً من هذا القبيل .

وكثيراً ما أبدت أم كلثوم إعجابها بقصصي وكتـابتي السياسيـة وفوجئت بها يوماً تـطلبني لإجراء حـديث معها في الإذاعـة. . فكان من عاداتها كل عام في بـداية شهـر رمضان أن تختـار شخصية عـامة لإجراء حواراً معها من خلال الإذاعة . .

وقـالت لي : لقـد وقـع الاختيـار عليـك لإعجـابي الشـديـد بكتاباتك .

وهو من الأحاديث التي أعتز بها حقيقة. . وكان حـديثاً مؤثـراً يـدل على لبـاقة وحسـاسية أم كلثـوم وأنها تحمل في أعمـاقها فنـانـة عظيمة فقد سألتني في الحـديث قائلة : كيف عـودت ودربت نفسك على الكتابة ؟!

فقلت لها أن الكاتب محتاج لعوامل كثيرة واعتبـارات وخبرات مختلفة حتى يتقدم في أسلوبـه. . وأنا أعتبـر أن أول أسباب نجـاحي ككـاتب هو القـرآن الكريم لأن القـرآن يعتبر المـوسيقى الكلاسيـك للاسلوب العربي الخالص .

وقيمة القرآن الكريم لا تتوقف عند كونه دعوة للإيمان بالاسلام وإنما أيضاً هو تدريب على اللغة العربية نفسها. . ولهذا أنصح أي كاتب أن يبدأ بقراءة القرآن حتى تثبيت القراءة والأنغام والمعاني في أذنه ، لأن القرآن هو الموسيقى الكلاسيك للغة العربية والاسلوب اللغوي وأنا في اعتقادي أن كل كاتب له لحن في أسلوبه. . يعني مثلاً محمد التابعي له لحن في أسلوبه. . الصاوي له لحن في أسلوبه. . وهكذا. . أنا كذلك هناك لحن في أسلوبي. . هذا اللحن لا يمكن أن استقبله بقوة إلا إذا بدأت بأصل الموسيقى العربية وهو القرآن الكريم .

وحين رددت ذلك أمام أم كلثوم في الحديث معها. . وجدت الفرحة تكاد تنطلق من وجه أم كلثوم. . فرحت فرحاً شديداً وكادت أن تزغرد !

أم كلثوم كانت لديها إيمان قوي جداً. ولا أحسب نفسي أضيف جديداً لو قلت أنها معجزة الغناء العربي حقيقة .

● هل حقيقة رفضت أن تسمع عبد الحليم في بداية حياته الفنية حين قدمه لك الزميل الصحفي فوميل لبيب في إجازة صيفية بالإسكندرية ولم تسمعه ولم يغن وجلس مع أولادك في الكابينة على البحر ؟

●● ذات صيف وكنت أقضي الإجازة الاسبوعية على شاطىء الإسكندرية جاءني فوميل لبيب ومعه شاب صغير ونحيف ودار حوار وقال لي :

ـ أعرفك بالاستاذ عبد الحليم حافظ .
ـ أهلاً وسهلاً .
ـ أنا عايزك تسمع عبد الحليم حافظ .
ـ أسمع يا فوميل . . أنا في إجازة ولا أريد أن أتعب نفسي أبداً !
ـ يعني ايه ؟!
ـ يعني مش عايز اسمع !

ولم يغضب عبد الحليم بل انني وجدته بعد قليل بدأ يلعب مع أولادي وأصبح بعدها صديق العائلة كلها . . وأنا لم أسمعه بعد ! . لغاية أول أغنية سمعتها له صافيني مرة فالحقيقة أعجبني صوته وبعدها أنا الذي بحثت عنه لأسمعه !

ولقد تحملت مسئولية عبد الحليم حافظ في بداية حياته كما هو الحال مع الذين عرفوا عبد الحليم ثم سرعان ما ابتعدوا عنه بعد ذلك لأسباب معروفة !

وبعد ما نجح وعرف الشهرة ووجد نفسه يستطيع أن يعتمد على آخرين بدأ يبتعد ولم يعد مرتبطاً بل ارتبط بآخرين في الصحافة أصبحوا يكتبون عنه !

وأصبحت أحب عبد الحليم حافظ ولكن من بعيد لبعيد !

وهذا حدث مع الكثيرين الذين عرفوا عبد الحليم حافظ عن قرب . وحدث مع الملحنين . . . لأنه كان يتدخل تدخلاً شديداً في اختصاصهم وعملهم .

كنا زمان شلة جديدة كلها . . وكنا ناجحين والحمد لله . .
وكنا في منتهى الانطلاق والقوة أنا وعبد الحليم حافظ وكمال الطويل ومحمد الموجي وجلال معوض وكنا مرتبطين ببعض الى أقصى درجة . . كنا نسهر يومياً في منزل كمال الطويل أو في منزلي لنتحدث في القضايا الفنية والأدبية . . وقصتي « شيء في صدري » مستوحاة من هذه البيئة لدرجة أنني أخطأت وأطلقت على البطل « كمال الطويل » وجاءني كمال الطويل وقال لي : انك تقصدني بهذه الرواية !

فقمت على الفور بتغيير اسم البطل في الفصل الثاني وليس في الفصل الأول !

هذه الفترة تذكرني بالنجاح . . كل منا نجح في مجاله ثم تباعدنا وكل واحد ذهب في اتجاه !

● والدتك السيدة روز اليوسف كانت تقول لك : « إحسان يا ابني انت دائماً آراؤك تأتي على حساب مصالحك » هل كانت صادقة في ذلك !

●● الخلاف الأساسي بيني وبين والدتي هو أنها كانت تمثل الجيل القديم وأنا منطلق بكل كياني مع جيلي . . وكنت أرفض كل آراء الجيل القديم بما فيهم آراء والدتي . والتي كانت تقصده من وراء عبارتها « انت دائماً آراؤك تأتي على حساب مصالحك » ان مصالحي من ناحية رأس المال في مجلة روز اليوسف كانت دائماً تضيع فقد كانت أي دار صحفية تتعامل مع الحكومة والأسواق

التجارية إلا أنا لم أكن أتعامل مع الحكومة مطلقاً . . كنت دائماً منطلقاً مع آرائي لدرجة أن الاعلانات توقفت تماماً عن روز اليوسف أيام كنت رئيساً لتحريرها ومشرف عليها .

● السياسيون يريدون التخلص منك فيقولون إحسان كاتب قصة . والأدباء يقولون إحسان كاتب سياسي وليس كاتب قصة ! . . . أين أنت ؟!

●● السبب الرئيسي أنني لم أكن تابعاً لأي شخصية سياسية . . لم أكن تابعاً لأحد طوال حياتي السياسية وليس معنى ذلك أنني أكرههم . . لا . . ولكنها طبيعتي . . رأيي الخاص . . اقتناعي الذاتي . الذي تغلب على أي اقتناع آخر ولم يستطع أحداً أن يفرض علي رأيه أو اقتناعه ولكن دائماً كنت معتزاً برأيي ولا أعبر عن رأي السياسيين الذين كنت أعرفهم ولم أكن أسعى اليهم بل كانوا هم يسعون الي دائماً بوصفي كاتباً في المقام الأول . . والحقيقة أني لم أنفذ ما كان يطلبه مني رجال السياسة ولذلك انتهى بهم الأمر الى أن قالوا : إحسان ليس كاتباً سياسياً . . لكنه فنان !

ووصل الأمر بجمال عبد الناصر الى أنه اقتنع هو الآخر في النهاية بأنني فنان ! وانني لست لي شأناً بالسياسة . . أيضاً أنور السادات اقتنع تماماً بأنني فنان وليست لي علاقة بالسياسة مطلقاً ! !

ولكن لماذا اتجهوا بتفكيرهم الى هذا الرأي لأنهم لا يستطيعون أن يدعوا بأنني مرتبط بحزب أو اتجاه سياسي معين . هذا في نفس الوقت الذي يجد فيه الفنانين بأنني خطراً جداً عليهم فقد جاء وقت

كـان يكفي أن يكتب عـلى أفيشهـات أي فيلم قصـة إحســان عبـد القـدوس لكي ينجـح هـذا الفيلم. . لهـذا حـاول بعض الكتـاب والأدباء أن يفصلوني عن الأدب. . وكانوا يقولون بدورهم: إحسان دى كـاتب سيـاسي وليس كـاتب قصـة!. . مثلما قـال أديب كبـير معـروف مؤخراً في حـديث صحفي : إحسان كـاتب صحفي وليس كاتب قصة! من أجل أن يبعدني عن المنافسة في الأدب. . في حـين أنني كاتب قصة شيئاً وصحفي شيئاً آخر!

● يقـال عنك أنـك كاتب الـطبقة الأرستقـراطيـة. . لمـاذا لم تكتب إلا قليلاً عن القرية المصرية رغم أنك عشت فيها طويلاً أثناء الإجازات الصيفية في بلدتك شبرا اليمن ـ كفر ممونة ؟!

●● وأشار إحسان عبد القدوس بيـديه معتـرضاً : لا. . أنـا أولاً من طبقـة متوسـطة عاديـة وكانت كـل صداقتي أيـام شبابي من الأحيـاء الشعبية لا زلت أتـذكر صـديق عمري المـرحوم محمـد عبد الهادي وكان والده تاجراً في الموسكي والحسين وكان لي أصـدقاء من الدراسة والقلعة وشبرا .

أما حكاية الطبقة الأرستقراطية التي حاول البعض الصاقها بي فهي الطبقة التي تشد القارىء أكـثر لأنها الطبقـة الحاكمـة . . قصة « لا أنام » تمثل الـطبقة الـراقية ولكن مثـلاً « أنا حـرة » عن الطبقـة المتـوسـطة و« في بيتنـا رجـل » من الـطبقـة العــاديـة. . « شيء في صدري » بطلها من طبقة عادية ثم اغتنى. . غير صحيح مطلقاً أنني أكتب من خلال طبقة واحدة ولكن القراء يتذكرون دائماً رواياتي التي

أكتبها عن الطبقة الأرستقراطية لأنها هي طبقة السلطة ولهذا فهي لا تفارق الذاكرة لأنها تتناول بالنقد الطبقة الحاكمة !

وليس صحيحاً أنني مقلاً في الكتابة عن الفلاحين والريف المصري بل انني كتبت عشرات القصص عن الريف لأنني عشت في الريف كثيراً لدرجة أن عبد الناصر قرأ إحدى هذه القصص عن الفلاحين وطلب مدير التليفزيون وقال له « قصة إحسان هذه عن الفلاحين لازم تتعمل في التليفزيون ! » .

وحين كنت صغيراً كانت هوايتي ركوب الخيل والحمير والانطلاق في الحقول وكانت ترعاني خادمة في البلد اسمها « سبيلة » ولهذا تجدني كثيراً ما أطلق اسم « سبيلة » على الفلاحات في رواياتي !

● روايتك « وعاشت بين أصابعه » . . هل هي حقيقة في الواقع قصة صحفي كبير ومطربة شهيرة ؟!

●● لا . . ليس صحيحاً ولكن أي قصة أكتبها لأنها واقعية جداً فمن الضروري أن تنسب لأحد . . وقد لا تنسب لواحد بعينه ولكنها تنسب لعشرات . . ويقولون : دا قصده فلان أو قصده فلانة !! وهذا يعود أساساً الى الموضوع الذي اختاره واهتم به وأعرضه في قصتي . . وهو دائماً موضوع واقعي يدل على الواقع . . قالوا انها قصة نجاة الصغيرة وكامل الشناوي وهي في الحقيقة لا قصة نجاة ولا كامل ! وانما هي موضوع من الحياة يشمل المئات . .

تجربة مقطرة من الواقع . كل قصصي واقعية . . انما يمكن بعـد سنة أو سنتين تأتي أنت نفسك محمود فـوزي وتقول لي دي قصـتي أنـا . . وهي في الحقيقة لا قصتك ولا حاجة !

صداقة أنور السادات من اغتيال أمين عثمان الى مصرعه على « المنصة » !

- كنت الوحيد من رؤساء التحرير الذي رفض السفر مع السادات في رحلاته الخارجية !
- رفضت أن أكتب مذكرات السادات « البحث عن الذات » !!
- السادات كذب في مذكراته ولهذا لم أستكمل قراءتها ؟؟
- السادات قال لي اكتب رأيك بصراحة ثم أبعدني من الأهرام بعدها !
- الذي قتل أنور السادات مبالغته بفتح ذراعيه بالأحضان لزعماء إسرائيل !

● هل اختلفت علاقتك بالسادات قبل الثورة.. وبعدها خاصة حين تولى السادات رئاسة الجمهورية ؟!

●● قبل الثورة كانت الصداقة قوية للغاية وبصراحة كان لا يعنيني الأمر كثيراً لأنني كنت صاحب الجريدة.. واستمرت العلاقة أيضاً بعد الثورة دون أن يكون هناك أي نوع من الافتعال وكانت المعاملة طيبة للغاية والصداقة طيبة حتى أصبح السادات رئيساً للجمهورية واستمرت الصداقة طبيعية أيضاً لفترة غير قصيرة حتى حدث التباعد بيني وبينه بعد ما بدأنا نختلف في الآراء .

فقد بدأت اختلف معه في كونه يبالغ في محاولات التفاهم مع زعماء اسرائيل مثلاً.. فبدأ يبعدني عنه.. وبدأت أختلف معه لدرجة أنني الوحيد الذي قلت له : انا مش حسافر معك في رحلاتك الرسمية !

فلم أكن مقتنعاً أبداً بمسألة سفر رؤساء التحرير مع رئيس

الدولة في الرحلات الخارجية فهناك مندوبين في الصحف والمجلات لتغطية زيارات الرئيس الخارجية .

ولهذا لم أوافق على السفر مع أنور السادات. ., وكنت الوحيد من رؤساء التحرير الذي رفض السفر معه في رحلاته الخارجية باستثناء مرة واحدة .

فقد اتصل بي أنور السادات بالتليفون وقال لي : يا إحسان انت حتسافر معي الى يوغوسلافيا سواء وافقت أو لم توافق. . وكان يريد يومها أن تكون معه صفوة من كبار كتاب مصر في هذه الرحلة .

الحقيقة السادات كانت تربطني به علاقة قوية قبل الثورة. . نتحدث في أشياء كثيرة لكنه مع ذلك لا يقول لي عن المؤامرات وخطط الإغتيالات التي كان يدبرها. .

وحين أصبح مسئولاً ورئيساً للجمهورية لم يستطع أن يجبرني على شيء أنا غير مقتنع به .

فقد رفضت أن أكتب مذكراته « البحث عن الذات » . فقد كان السادات يحكي مذكراته في البداية على شرائط تسجيل ثم نقلوا له هذه الشرائط في عشرة دوسيهات كبيرة. . ثم طلب مني أن أكتب « البحث عن الذات » رفضت . . كان يطلب مني أن أكتب له خطبه . . اعتذرت. . فليس هذا هو عملي إلا مرة واحدة . اتصل بي بالتليفون وقال لي :

- أنا ح أقول كلمة عن الفن . . متعرفش تكتب كلمة عن الفن . . دا انت فنان وأبوك فنان .

وكتبت له خطبة صغيرة قالها أمام الشعب .

● انت الذي قدمت أنور السادات للصحافة . . حين قدمته لإميل وشكري زيدان أصحاب « دار الهلال » للعمل بها ونشر مذكراته في السجن . . هل كان السادات صحفياً ؟!

●● قلت لإميل زيدان أقدم لك أنور السادات للعمل بدار الهلال وهو شخصية وطنية ومعروفة وكانت دار الهلال وقتها تريد أن تكسب الشخصيات الوطنية وعمل أنور السادات في الهلال بمرتب ٥٠ جنيهاً .

ثم أدهشني بعد ذلك أن أنور السادات كتب في مذكراته يقول : أنه كان ينافس إحسان عبد القدوس في كتابة المقالات . . وهذا ليس صحيحاً بالمرة لأنني كنت أكتب المقالات على حين السادات كان موظف في سكرتيرية التحرير . . ورأيي أن السادات على الرغم من اشتغاله بالصحافة إلا أنه كان لا يملك العناصر الصحفية الكاملة فهو مدبراً فقط في لعبة السياسة وعلى معرفة تامة باختيار المواقف واستثمارها لصالحه .

● ولكن أنور السادات في كتابة « البحث عن الذات » قال أنك كنت ترشدهم على منزل علي ماهر ؟!

●● هذا كذب . . كل واحد يحاول أن ينسب الفضل

لنفسه. . ويكتب من وجهة نظره لصالحه. . كل واحد الآن يؤرخ عن نفسه . . وهناك مذكرات أبدأ في قراءتها حتى أجد كاتبها يكذب في واقعة أنا عاصرتها شخصياً بكل ملابساتها حينئذٍ ألقي بالمذكرات. . ألقيها جانباً. . لأن كاتبها كاذب. . ولهذا أنا لم أستكمل البحث عن الذات. . وجدته يكذب فلم أستكمل الباقي !

لم يحدث أنني كنت أدهم على بيت علي ماهر مطلقاً. . لقد ذهبت الى علي ماهر وكنت أعرفه جيداً ومعي أنور السادات وكمال الدين حسين. . وأنا الذي تحدثت مع علي ماهر وعرضت عليه الوزارة .

● ألم يتدخل السادات بحكم الصداقة بينكما - لدى عبد الناصر للإفراج عنك أثناء فترة السجن عام١٩٥٤ ؟!

●● لا لم يتدخل من رأيه ان الرئيس هو الرئيس ولا يمكن لأحد أن يتدخل في قراراته لذلك فهو ابتعد عن مناقشة عبد الناصر في ذلك ولكن في الحقيقة ان السادات كان لا يستطيع أن يفعل شيئاً لي أو أن يتخذ موقفاً لصالحي. . يختلف مع عبد الناصر أو مع الثورة من أجلي. لكن بعد خروجي من السجن زارني للسؤال عني .

● السبب الحقيقي في الخلاف بينك وبين السادات هو أنه حين قال في إحدى خطبه أنه سوف يطلب من الجيش أن يتولى حماية

الدستور فقلت له بصراحتك المعهودة هذا معناه حكم عسكري . .
فغضب منك ؟!

. . ليس خلافاً ولكنه تباعد . . حدث تباعد بيني وبين أنور السادات قبل اغتياله لأنني لم أكن موافقاً على تصرفاته وقراراته وأعماله . . وكنا قبل ذلك على اتصال دائم عن طريق التليفون . . كل أسبوع كان يضرب لي تليفوناً وعادة بعد إلقاء خطبة السياسية . . وكان يسألني . . ايه رأيك يا احسان في الكلمة دى . . وكنت أقول له رأيي بمنتهى الصراحة والوضوح . . لغاية ما ألقى هذه الخطبة فأنا الذي اتصلت به بالتليفون هذه المرة وقلت له :

- كان لازمتها ايه انك تقول في الخطبة ان الجيش هو الذي يحمي الدستور . . حتى لو كان هذا واقعاً . . المفروض أن تقول ان الشعب هو الذي يحمي الدستور . .

ثم قلت له أيضاً :

- على العموم أنا باقول لك لأنك بتحب تسمع رأيي لكن طبعاً هذا الكلام لن أكتبه .

فرد علي السادات :

- لا يا إحسان اكتب هذا الكلام .

فقلت له :

- اكتب إزاي ؟!

فقال : اكتبه حتى يظهر للشعب انك تستطيع أن تكتب ما تريد أن تقوله بصراحة !

وفعلاً كتبت المقال. . . وأول ما ظهر في الصحف : راح السادات شايلني من الأهرام » رغم أنني كنت متفقاً معه قبلها على أنه لا يجري أي تغيير في الأهرام بما فيه شخصي يستشرني وبعد أن يتفق معي. . لأنه لم يكن يهزني مطلقاً أن أترك جريدة الأهرام بل انني كثيراً ما طلبت من السادات أن أترك « الأهرام ». . وكان يقول لي :

ـ استنى . . انت حتفضل كل مرة تهرب !

ولكنه جاء هذه المرة وأبعدني من الأهرام دون أن يخطرني مسبقاً !

***

ولقد كتب الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس مقالته التي أبعد بسببها عن رئاسة مجلس ادارة الأهرام في ١٩ مارس ١٩٧٦ بعنوان « تساؤلات حول خطب الرئيس السادات » .

« عندما تحدث الرئيس عن القوات المسلحة قال انها « أحد عناصر تحالف قوى الشعب ولكنه لا شك أن لها وضعها الخاص » وفي حدود هذا الوضع الخاص « يقتصر دور القوات المسلحة على أمر واحد بالغ القيمة والأهمية وهو حماية الدستور والشرعية الدستورية » . .

ولأن الرئيس وضع لهذا التحديد تفسيراً سريعاً لم يتجاوز ثلاث دقائق فقد انطلقت من حوله التساؤلات :

● كيف تقوم القوات المسلحة بحماية الدستور ؟

● هل معنى أن تتدخل القوات المسلحة سياسياً في تصرفات السلطة التنفيذية حتى تطمئن دائماً الى أنها تصرفات دستورية ؟

● هل لو أقدمت الحكومة على تصرف مخالف للدستور يكون من حق القوات المسلحة التدخل لعزل الحكومة أو وقف هذا التصرف ؟

● وما هي حدود حماية الدستور ؟

● وما الذي يأمر أو يطلب من القوات المسلحة التدخل لحماية الدستور ؟

● وهل معنى ذلك أن القوات المسلحة هي التي تحكم ؟ و. .

وعشرات التساؤلات لا تعبر كلها عن إتجاه واحد من الفكر السياسي بل تختلف مع اختلاف الإتجاهات والمذاهب والنيات السياسية ويقابلها اتجاه آخر ليس في حاجة الى التساؤل لأنه أكثر تفهماً للمبادىء الأساسية التي يؤمن بها الرئيس السادات ويحاول أن يقيم عليها الكيان السياسي كله . .

والتساؤلات الحائرة التي تعبر عن الشك في صورة مستقبل العمل السياسي هي تساؤلات لا تزال تعيش المرحلة الأولى من الثورة عندما تحملت القوات المسلحة المسئولية السياسية الكاملة أو على الأصح عندما كان الحاكم يعتمد اعتماداً رئيسياً على القوات المسلحة للاستمرار في الحكم وهو ما انتهى الى ضعف إحساس القيادات العسكرية بمسئوليتها الأساسية كقوة عسكرية وتغلب عليها

الإحساس بالحياة المدنية وهو ما انتهى الى ما انتهى اليه من نكبات سياسية وهزائم عسكرية .

وقد انتهى هذا الوضع للقوات المسلحة بانتهاء المرحلة الأولى للثورة وبدأت المرحلة الثانية في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي بالاعتماد واعتماداً أملاً على قيادات وقوات متفرغة لاحتراف الفن العسكري وقد تطلب ذلك كثيراً من الإجراءات وكثير من تغيير في القيادات الى أن أصبحت القوات المسلحة تضم فعلاً قادة وضباطاً وجنوداً محترفين واستطاعوا كمحترفين عسكريين أن يحققوا انتصار ٦ اكتوبر .

هذا الوضع للقوات المسلحة هو الوضع الباقي والدائم الذي لا يمكن تعريضه لأي مسئولية تخرج بالقوات المسلحة عن تفرغها لاحتراف الفن والعلم العسكري . .

ومن ناحية أخرى كانت المرحلة الثانية من الثورة والتي بدأت بتحمل أنور السادات للمسئولية في حاجة الى تنظيم أساسي شعبي يضمن لها الاستمرار والاستقرار . . استمرار واستقرار النظام والدولة . . وكان هذا التنظيم يقوم على فرض قوة الدستور .

ولم يكن هذا اكتشافاً جديداً فكل دولة مستقرة لا تستقر إلا على دستور ومصر منذ أن بدأت تطالب بالحرية وهي تطالب بالدستور . . عرابي كان يطالب بالدستور . . ومصطفى كامل كان يطالب بالدستور وسعد زغلول كان يطالب مع جلاء الاحتلال البريطاني بالدستور . . ورغم ذلك قامت ثورة ٢٣ يوليو واستمرت

المرحلة الأولى منها وهي غير معتمدة على دستور رغم الاعلان عن قيام ثلاثة دساتير متعاقبة٥٦ و٥٨ و٦٤ذلك اكتفاء بالاعتماد في استمرارها على شخصية قائدها . .

وبدأت المرحلة الثانية من الثورة وهي غير مكتفية بالاعتماد على شخصية القائد واعتبرت أنها - أي الثورة - قد بلغت سن الرشد بحيث تستطيع أن تستمر كنظام قائم مستقر يعتمد على دستور لا على مجرد شخصية الحاكم وأعلن أنور السادات أن الشرعية الثورية قد انتهت وانتقلت مصر الى الشرعية الدستورية وأعلن إيمانه وتمسكه بالنظام الدستوري الى حد أن اعتبر كل ما سبقه من محاولات تنظيمية كالميثاق وبيان ٣ مارس وورقة اكتوبر أيضاً مجرد مراجع تاريخية والدستور لا يمكن أن يقدم اعتماداً على حماية أو فرض إرادة القوات المسلحة .

ولكن . .

الحرص والتصميم على سيادة الدستور وعلى ممارسة الحياة الدستورية الكاملة يعتبر بالنسبة للمرحلة الأولى من الثورة أنه ثورة على الثورة أو كأنه ثورة من داخل الثورة وهذه الثورة الجديدة في حاجة الى ضمان الاستمرار والاستقرار وقد كان أقوى ما تميزت به ثورة ٢٣ يوليو هو قدرتها على الاستمرار وكل الأخطاء والانحرافات التي تعرضت لها كانت تبرر بالحرص على الاستمرار وهي الثورة الوحيدة التي استمرت في كيان واحد بين كل ثورات العالم العربي التي أعقبتها بل هي أقل الثورات في التاريخ البشري التي تحملت في

سبيل استمرارها والثورة الفرنسية كانت منذ بدأت تأكل نفسها الى أن تغلبت عليها عودة الملكية ثم عادت وتغلبت على الملكية ثم بدأت تأكل في نفسها من جديد حتى جاء نابليون وأعلن نفسه امبراطوراً انقلاباً على الثورة والثورة البلشقية اضطرت حتى تستمر أن تقتل ثلاثة ملايين من أعضاء الحزب الشيوعي نفسه في أيام ستالين و. . و. . . وبقية الثورات لم تستمر أو استمرت بثمن أغلى كثيراً من ثمن استمرار ثورة ٢٣ يوليو. .

فكيف نضمن استمرار المرحلة الجديدة من الثورة القائمة على الشرعية الدستورية حتى تتأكد شخصية الدولة كدولة مستقرة تمتد الى الأجيال القادمة كأي دولة استطاعت أن تستمر حتى اليوم خلال عشرات الأجيال ؟ وممن نخاف على الشرعية الدستورية ؟. ان الخوف على الدستور ينحصر في الانقلابات العسكرية بل ان الخوف على الدستور بالذات ينطلق أقوى من تعارض القوى والاتجاهات الشعبية. . وقد سبق في التاريخ المصري أن ألغى صدقي باشا الدستور كله دون أن يحتاج الى انقلاب عسكري ورغم ذلك بأن أي إلغاء للدستور يعتبر انقلاباً سواء كان انقلاباً عسكرياً أو انقلاباً مدنياً. . أي أن أي إلغاء الدستور ـ لو حدث ـ يعتبر قضاء على الشرعية الدستورية وبالتالي قضاء على الدولة وعلى النظام القائم أي القضاء على الاستمرار والاستقرار . . . لأن الدستور نفسه يفسح المجال لأي تطور حتى لو تطلب هذا التطور تعديل نصوص الدستور أكثر من مرة وكل دساتير العالم تعرضت للتعديل والدستور الامريكي عدل أكثر من مائتي مرة. .

وهذا هو التفسير الصحيح لما جاء في خطاب الرئيس السادات أو هو ما فهمته واقتنعت به فقد كنت أنا أيضاً أحد المتسائلين . .

* * *

● هل لتغير علاقتك بالسادات لجأت الى كتابة القصة لترمز من خلالها الى آراءك السياسية ؟!

●● لا . . ان اكتب الروايات السياسية من البداية طبيعياً ولكن كل الذي حدث بعد ابتعادي عن العمل الصحفي أنني تفرغت أكثر للانتاج الأدبي . .

● من الذي قتل أنور السادات ؟!

●● قطعاً الذي قتل أنور السادات هو الاتفاقية مع اسرائيل وزيارتها . . الذي قتل أنور السادات أنه كان يبالغ بفتح ذراعيه بالاحضان في استقبال مناجم بيجن وغيره من زعماء اسرائيل . . كل هذا لم يتقبله الرأي العام لأنه حتى لو تم الصلح بيننا وبين اسرائيل لن يصل الى درجة الاحضان والقبلات . . مبالغة ممقوتة .

وكنت أقول لأنور السادات صراحة :

ـ معقول تأخذهم بالأحضان في الوقت الذي لا زالت اسرائيل توجه ضرباتها الى العرب . . لدرجة أن اليهود العرب يتعرضون لاضطهاد داخل اسرائيل .

كل هذا أثار الرأي العام حتى توصلت جماعة من المتطرفين اليه وتمكنت من اغتياله .

والغـريب أن السـادات كـان عـلى علم بـأن هنـاك محـاولات عديدة تجري لمحاولـة اغتيالـه وكانت الحـراسة مشـددة عليه لـدرجة كبيـرة جداً لهـذا كانت حـادثة اغتيـاله أكبـر مفاجـأة نظراً للحـراسة الكبيـرة من حـولـه وأن يـأتي اغتيـالـه وسط الجيش في اغتيـال عسكري . .

من كان يصدق أن السادات يغتال في عرض عسكري . . .
كان الجيش كله من حوله ورغم ذلك قتل !

في بلاط صاحبة الجلالة ... من الخزانة الخاوية الى أول مليون!

- **عبد الناصر والسادات بعد تجربتي لم يجدا في الصنف المطلوب!**
- **رفضت الوزارة مرتين والذى رشحني هيكل !**
- **أحمد بهاء الدين شطب لي سطرين فتركت العمل في الهلال !**
- **ليس صحيحاً أنني رفضت إقامة حفل لمصطفى أمين في أخبار اليوم بعد خروجه من السجن !**
- **السادات طلب مني فصل بعض الصحفيين في الأهرام واغلاق مجلة الطليعة ورفضت !**

● وهل كانت بدايتك الصحفية حين دخلت على الزعماء والساسة في بهو فندق « وندسور » بالإسكندرية وقلت لهم : ماما بتسلم عليكم وبتقول لكم عايزة شوية أخبار ؟

●● ضحك إحسان عبد القدوس طويلاً وهو يقول : هذا صحيح قلت لهم هذا ولكني كنت صغيراً . . لكن لا أستطيع أن أنكر أن أمي هي التي دفعتني وكانت ترغب في أن أكون صحفياً . . كانت لا تريد أن أصبح أديباً أو قصاصاً . . كانت لا تريد أن أصبح مثل أبي !

كانت تريدني أن أصبح صحفياً فقط وتدفعني دائماً أن أقوم بمهمات صحفية وأنا في المدرسة فأحصل على أخبار الطلبة وأنا في المجتمعات احصل على أخبار اجتماعية .

● ولماذا رفضت أن تعطي أخباراً سياسية لأحمد حسنين باشا ؟

●● أنا كنت ساذجاً . . ولا أعرف أن أحمد حسنين باشا كان

يريد أخباراً سياسية فأنا ليس من طبيعتي أن أنقل أخبار. . ليس من الصنف الـذي يجلس مع شخص وينقـل له أخبـاراً . . وهـذا عيبـاً صـادفته في التعـامل مـع كل السيـاسيين انني لا أقـول أخباراً ولا أتكلم عن أحـد . . وهذا قـد أغضب الكثيرين مني ولكنهـا طبيعتها أولاً وأخيراً .

يعني جمال عبد الناصر وجد نفسه لا يستفيد مني لأنني لا أنقل له أخباراً عن هذا وذاك بل كنت أجلس اليه أحاسبه لدرجة أن قال لي ذات يـوم : يا أخي مـا تتكلم قول أخبـار ؟ فكـان ردي : ليس لدي أخبار أقولها !

وليس عبد الناصر فقط. . السادات أيضاً وكنا في سهرة سوياً وانتهى الحديث ثم فوجئت به يقول لي : يـا أخي ما تتكلم ايـه . . الكـلام خلص . . أنا بـاقعد مـع فلان مـا يبطلش ذكـر أخبـار عن البلد !

معقول. .. انت معندكش أخبار يا إحسان ! وهذا هـو السبب الحقيقي في التبـاعـد بيني وبـين القيـادات السيـاسيـة لأنـه ليس من طبيعتي أن أسمع أخبار وأنقلها وهو السبب ايضـاً أنني لم أكسب أي رئيس أو سياسي بجانبي لأنني لا أحب أن أكون تابعاً لأحد !

وكانوا دائماً بعد تجربتي لا يجدون فيّ الصنف المطلوب !

● أستاذ إحسان عبد القدوس. . حين عرض عليـك التابعي ٢٥ جنيهاً للعمل معه في آخر ساعة بعد أن كنت تأخـذ ١٢ جنيهاً في

روز اليوسف . . قلت للتابعي :

هل تجاملني من أجل خاطر أمي . . هل كنت حساساً الى هذه الدرجة في هذا الموضوع ؟!

●● لا أخفي عليك في البداية تخوفت لأنني كنت أحصل على ١٢جنيهاً في روز اليوسف وعندما عرض على الأستاذ التابعي أن أعمل في آخر ساعة مقابل ٢٥ جنيهاً قلت له : انني أريد تقديري الشخصي فقط وليس تقدير والدتي ! . . أنا أحصل على ١٢ جنيهاً في روز اليوسف وسأظل أحصل على نفس المبلغ في آخر ساعة !

والحقيقة أن الأستاذ التابعي كان واقعياً فقال لي :

أنا سأودع لك في الخزينة ٢٥ جنيهاً . . تأخذ ١٢ ، أو ١٨ أو ٢٥ جنيهاً انت حر !

طبعاً رفضت في أول الشهر أن أقبض ٢٥ جنيهاً واكتفيت بـ ١٢جنيهاً وتكرر ذلك في الشهر الثاني ولكن في ثالث شهر قبضت ٢٥جنيهاً !

المهم بعد ذلك أن زوجتي كانت حريصة على أن تعيدني الى مجلة روز اليوسف بعد تصفية الخلاف بيني وبين أمي وكان لها الفضل في ذلك وعدت من جديد الى مجلة روز اليوسف بـ ١٢جنيهاً من جديد ولم تضيف عليه أمي مليماً واحداً لأنها كانت تريد أن تعرف هل تغيرت أم لا زلت إحسان بتاع زمان ! وقبلت وما كان أحلى الرجوع اليها .

● أستاذ إحسان . . هل عرض عليك عبد الناصر وعبد الحكيم عامر مصاريف سرية بعد الثورة لإنقاذ روز اليوسف ؟

●● هذا صحيح . . وكان معنى ان الذي يدفع مصاريف سرية لمؤسسة صحفية معناه مقدماً أن اتجاه المجلة سيكون في صالحه . . وما دام الاتجاه سيكون في صالحه . . ! لماذا لا يعلن صراحة بأنه دخل شريكاً مع أصحاب الصحف وهذا ما كنت أتمنى أن أقترحه على عبد الحكيم عامر يوم أن حدثني في شأنه ذلك ومن قبله الرئيس جمال عبد الناصر فالحقيقة أن مجلة روز اليوسف لم يكن بها رأس مال وفي الوقت نفسه لا أستطيع أن أقبل أي رأس مال من جهة فردية أو مشكوك فيها .

وإذا ساهمت الحكومة فيجب أن تعلن عن ذلك أمام الشعب . . قبول إعانة يجب أن يكون علانية ولهذا رفضت الإعانة السرية .

لو عدنا قبل الثورة وما كان يحدث في الصحف وكانت صحف حزبية فإذا كان حزب الوفد خارج الحكم مثلاً كانت الأحزاب الأخرى تضطهد صحف الوفد وتضطهدها وتصادرها وتكون النتيجة أنها تتحمل مبالغ هائلة وتخسر وحين يصل حزب الوفد ثانية الى الحكم يعوض صحف الوفد بأن يدفع المبالغ الطائلة التي خسرتها من قبل . . وهذا ما كان يسمى بالسرية . . ولماذا السرية إذن ؟ فمن الإمكان للوفد أن يعلن صراحة عن تعويضه لصحفه التي تعرضت كخسارة . فأنا لا أعتبر الصحافة سر لأنها

معـرضة لخسـائر كثيـرة ومجازفـات كبيرة . . وحـين علم عبد الحكيم عـامر بخسـارة روز اليوسف وعـرض مساعـداته بـاسم جمـال عبـد الناصر . . قلت له : ولماذا تعرضها سرية . . ما تبقى المسائل علنيـة . . أنـا شخصيـاً لست محتـاجـاً لأمـوال ولكن من أجـل المجلة . . تطويرها بمكينات طباعة جديدة . . هل يمكن أن تكون شركاء ؟

ورفض عبد الحكيم عامـر . . قال تبقى المصـاريف سريـة . . فرفضت حتى تم تأميم الصحافة ومنها روز اليوسف .

● لماذا طالبت بتأميم مجلة روز اليوسف . . هـل لانقاذ المجلة من التـوقف ؟ مع أنـك كنت تعرف رأي روز اليـوسف نفسهـا التي توفيت عام ١٩٥٨ والتي لو أمد الله في عمرها حتى عام ١٩٦٠ لرفضت تماماً فكرة أن تترك مجلتها للحكومة مهما كان الثمن ؟

●● وتأمل إحسان عبد القدوس صورة روز اليوسف لحظات وكأنه يعتـذر لها قبـل أن يقول : لـو عاشت روز اليـوسف الى تأميم الصحافة لم يكن قلبها يقو على تأميم المجلة مطلقاً . . لو عاشت روز اليوسف الى تأميم المجلة لماتت مرتين !

لقد كانت المجلة حقيقية ابنتها وحياتها وكل شيء بالنسبة لها !

أنا طالبت التأميم لأنه كـان هناك واقعـاً تستطيـع السيدة روز اليوسف أن تتغلب عليه وفشلت شخصياً في التغلب عليه والحق أنه لم يكن هناك في الحقيقة لمؤسسة روز اليوسف رأس مال نهائياً !

كانت والدتي مشرفة عـلى المجلة وكما لـو كانت « ست بيت »

يعني الميزانية كلها في حقيبتها توزع وتصرف كما لو كانت ست بيت.. أنا شخصياً فشلت في أن أكون مثلها في إدارة المجلة « ست بيت » !.

وقد فوجئت بكل المجلات والصحف حولي في مصر تزداد انتشاراً ونجاحاً بفضل رؤوس الأموال التي تعتمد عليها في الوقت الذي لا أجد فيه رأس مال اعتمد عليه.. وانتابتني الحيرة.. ماذا أفعل ؟ ولم أجد إلا المطالبة بالتأميم !

وأقول لك بمنتهى الصراحة.. لولا تأميم مؤسسة روز اليوسف لأغلقت من الستينات لنفاذ رأس المال أساس بقاء وانتشار ونجاح أي جريدة أو مجلة .

● وهل أنت راض عن هذا التأميم.. ما هو تقييمك لتجربة تأميم الصحافة المصرية بعد مرور أكثر من ربع قرن عليها ؟

●● الحقيقة انني صدمت بعد التأميم واعتقدت واهماً أنني سأظل محتفظاً بنفس قوة روز اليوسف التحريرية بعد التأميم.. انما الذي حدث أنني صدمت حين سيطرت الحكومة سيطرة كاملة على روز اليوسف وعلى كل ما فيها!. ورغم أنهم اختاروا صديقاً لي هو المرحوم يوسف السباعي عضواً منتدباً ومع اعتذاري الكامل بصداقته إلا أن يوسف السباعي ضابط جيش وكان لا يندهش على أي قرار يتخذه ذات يوم فوجئت به انه أصدر قراراً بتعيين ٣٠ محرراً في روز اليوسف فقلت له : كيف تعين كل هذا العدد... المجلة ليست في حاجة الى كل هؤلاء.. ثم من أين ؟ ألا تعلم أن المجلة

خالية الوفاض بلا رأس مال . . فرد عليّ يوسف السباعي بابتسامته المعهودة - يا أخي انت مالك . . هي فلوسك ! انها فلوس الحكومة . . لا تحمل هماً والحكومة ستقوم بالواجب وتسدد كل شيء !

وهكذا أصبحت روز اليوسف مثلها مثل كل الصحف تعتمد اعتماداً كلياً من الناحية المالية على الحكومة . . فالحكومة هي التي تتحمل رأس مالها . . ولولا ذلك ما استمرت مجلة روز اليوسف .

● أستاذ إحسان عبد القدوس . . لماذا رفضت أن تكون وزيراً . . فقد عرضت عليك الوزارة في السنوات الأولى للثورة ثم عرضت عليك الوزارة في السبعينات ؟

●● في بداية الثورة كان عرضاً غير مباشراً فقد جاءني صديق من أعضاء مجلس الثورة وقال لي يا إحسان . . انت تبطل أسلوبك وسهراتك هذه لأننا نتحدث عنك هذه الأيام ومرشحينك لمسئوليات كبيرة . . وكان يعني بذلك الوزارة . . وقلت يومها أنا سأظل إحسان عبد القدوس الى الأبد . . عايز أسهر لا مانع عندي . . اكتب قصص . . اكتب سياسة . . بمطلق حريتي ولا أحب قيود الوزارة !

أما ثاني مرة فجاء العرض مباشراً . . أنور السادات بنفسه عرض علي حين كان رئيساً للجمهورية في مقابلة بيني وبينه وقال لي : أنا أريد أن تكون وزيراً في وزارتي . . انت ستصبح وزير ثقافة . . فغضبت جداً وانتفضت من مكاني وأنا أصرخ فيه وقلت له : بقي انت تعرفني من أربعين سنة وتأتي اليوم لتقول لي تبقى

وزير.. أنا لا أترفع عن الوزارة لكن لا أعرف كيف أكون وزيراً.. ولا أريد أن أكون وزيراً وطالت المناقشة بيني وبينه فقال لي: تعرف مين اللي مرشحك وزيراً قلت له مين؟ قال: هيكل؟

● بالمناسبة.. لماذا ترك محمد حسنين هيكل مجلة روز اليوسف حين عدت أنت اليها بعد انتهاء الخلاف بينك وبين والدتك روز اليوسف.. هل كان من الصعب وقتها تواجدكما في المجلة؟

●● لا.. لم يكن ذلك هو السبب ولكن السبب الحقيقي هو أن هيكل قدر لنفسه مستقبل ثاني.. ووجد أن التعامل مع الاستاذ محمد التابعي كان أسهل.. أنا نفسي تركت روز اليوسف وتعاونت مع التابعي في آخر ساعة.

● أستاذ إحسان عبد القدوس.. هل حقيقة تركت العمل بدار الهلال لأن أحمد بهاء الدين شطب سطرين.. رغم أنك أنت الذي قدمت أحمد بهاء الدين للقراء من خلال كتابه «فاروق ملكاً»؟

●● كنت أنشر مقالات في مجلة المصور وكان أحمد بهاء الدين رئيساً لمجلس إدارة دار الهلال وفوجئت بأنه حذف من مقالي سطرين أو ثلاث أسطر فذهبت اليه وقلت له كيف تحذف أسطر من مقالتي من غير ما تتفق معي.. فرد عليّ قائلاً.. ما انت زمان سبق وان حذفت سطور من مقالاتي.. فقلت له: أنا يمكن حذفت لك سطراً أو سطرين لأنك كنت مسافراً.. انما انت كان لازم تتصل بي وتأخذ

رأيي ومن أجل أن حذفت لي سطرين فأنا سأترك العمل في دار الهلال. . وتركت العمل فعلاً في دار الهلال .

● أستاذ إحسان عبد القدوس. . بصراحتك المطلقة. . هل حقيقة رفضت إقامة حفل تكريم للأستاذ مصطفى أمين عند خروجه من السجن وعودته الى الأخبار وكنت وقتها رئيساً لمجلة إدارة أخبار اليوم ؟!

●● الذي حدث أنني كنت دائماً ما ألح بالإفراج عن مصطفى أمين . وفي أول مايو عام ١٩٧١ طلبت من أنور السادات في بداية حكمه بالإفراج عن مصطفى أمين فثار السادات يومها عليّ وقال لي : لاتذكر سيرته. . لماذا لان المناخ السياسي وقتها كان لا يسمح بالإفراج عن مصطفى أمين. . الى أن تغير هذا المناخ وأول ما أفرج عن مصطفى أمين استقبلته في أخبار اليوم ليس على انه محرر أو كاتب صحفي ولكن على أساس أنه صاحب جريدة أخبار اليوم والمؤسسة كلها. . وأنا نفسي كنت صاحب مؤسسة روز اليوسف . أحسست أنني لا يمكن أن أعود الى روز اليوسف وأستريح فيها إلا إذا أحسست أنني أعامل على أنني صاحبها . لهذا لما خرج مصطفى أمين من السجن بدأت أعامله فوراً ومن غير استئذان أنور السادات على أنه يملك كل شيء وقلت له : ما هو منصبك قبل أن تدخل السجن فقال لي : كنت مشرفاً على الأخبار وكنت أدعوه لمجلس الإدارة. . وبدأت بيني وبين نفسي أعمل جاهداً الى أن تعود اليه كل سلطاته. . وكانت هناك فترة كان مصطفى أمين خارجاً من

السجن وفي ذهنه اتجاهات سياسية أنا باعتبر نفسي مختلف معه فيها وجلسنا كثيراً وزرته في البيت مرة أو مرتين من أجل أن أقول له رأيي . . لكنني طول الوقت أنا أعتبره صاحب أخبار اليوم وحتى اليوم هذا هو شعوري أيضاً . . ووجدت نفسي لو بقيت في أخبار اليوم وأنا رئيس مجلس الإدارة سأضطر الى أن أختلف مع مصطفى أمين في أشياء كثيرة ووجدت أن أحسن طريقة أنني أخرج من أخبار اليوم ويأتي أصحابها الحقيقيين علي ومصطفى أمين وقلت هذا الكلام لأنور السادات واندهش أنور السادات جداً لهذا . . من الذي أغضبه هذا القرار ؟! مصطفى أمين نفسه . . لماذا ؟ لأنه مطمئن اليّ جداً في إدارة شئون المؤسسة . . ولقد ترددت أقوال كثيرة تقول انني تركت أخبار اليوم لأن كل العاملين في أخبار اليوم مع مصطفى أمين وضد إحسان عبد القدوس لا . . كانوا مع مصطفى أمين وليسوا ضدي ثم انني لو تركت أخبار اليوم لمصطفى أمين . . هذا هو حقه . . وحتى لا يقع بيني وبينه أي خلاف أضطر الى استعمال سلطاتي المزود بها . . لأنني مندوب رئيس الدولة . .

وهو ما حدث فيما بعد لما اضطر المسئول عن الأخبار أن يرفع له مقالات كثيرة كان يكتبها وكانت هناك رقابة على ما يكتب .

● لماذا رفضت أن تكون رئيساً لتحرير الأهرام واكتفيت فقط بمنصب رئيس مجلس الادارة ؟

●● رفضت أن أكون رئيساً لتحرير الأهرام . . رغم المحاولات التي بذلت من داخل الجريدة من الصحفيين للجمع بين

المنصبين رئيس التحرير ورئيس مجلس الإدارة ولكن رفضت لأن رئيس التحرير لا بد أن يكون على اتصال دائم برئيس الدولة.. وأنا أرفض أن أكون على اتصال دائم بأنور السادات وأصبح في موقف المضطر الى الإتصال به خاصة بعد أن حدث تباعد بيني وبينه. ولهذا كنت أمام أمرين : اما أن أعمل انقلاب في الأهرام أو أتركه نهائياً . ورفضت أن أقوم بانقلاب في الأهرام .

● هل طلب منك السادات حقيقة التغيير الشامل في جريدة الأهرام « وفصل بعض المحررين بعد خروج محمد حسنين هيكل ؟

●● طلب مني السادات أن أغلق مجلة « الطليعة » التي كان يرأس تحريرها لطفي الخولي بدعوى انها شيوعية.. ورفضت أن أغلقها مطلقاً.. وكان السادات يقول لي كثيراً دا بتاع هيكل .. شيله .

وكنت أرد عليه :

ـ وماله بتاع هيكل.. ما يبقوا الناس بتوع هيكل وأهو صاحب فضل عليهم... لازم يبقوا متحفظين بصداقته.. انما كل ما هناك انهم لا يعبروا عن علاقتهم بهيكل فيما ينشر ولم يكن أحد يعبر حقيقة عن هيكل فيما ينشر.. ولكن السادات لم يقتنع بكلامي.. وظل يردد .. فلان بتاع هيكل.. وأنا أرفض أن أرفد أو أفصل أو أنقل أي صحفي أبداً.. وكانت النتيجة أن كل شيء فشل في الأهرام.. وأنا كنت سأقدم استقالتي من البداية لو أنه سارع بإصدار هذا القرار .

● ما هي الإنجازات التي حققتها في حياتك ولا زلت معتزاً وفخوراً بها حتى اليوم ؟

●● أنا في الحقيقة سعيد جداً بعده أوجه نجاح حققتها في حياتي. . وانني فخور بنفسي انني تحملت مسئولية استكمال تعليم نفسي وتثقيفها خاصة أنني مررت بظروف قاسية في بداية حياتي كان من الإمكان ألا أستكمل بسببها تعليمي. . وكان أبي يحبني بشدة ويكثر من تدليلي وأنا طفل لدرجة أنه أصبح غريباً في تصرفاته فقد أدخلني في البداية روضة أطفال راقية في العباسية ثم سافر الى إيطاليا ليتعلم الفن وأعجب بالإيطاليين جداً فأخرجني من روضة الأطفال وألحقني بمدرسة ايطالية لكي أتعلم اللغة الايطالية وأكون في النهاية ناجحاً مثل الإيطاليين ولكن التف حوله الأهل والأصدقاء وقالوا له : هل معقول تضييع مستقبل إحسان لكي يصبح إيطالياً !

ثم أدخلني مدرسة البرموني ثم مدرسة السلحدار لأن ناظر المدرسة كان جارنا وصديقه. . وكان الناظر يعاملني معاملة خاصة لأنه صديق والدي ثم فتح صديق له اخر مدرسته. . كان اسمها مدرسة النيل وقال له :

ـ هات احسان يبقى تلميذ في المدرسة ؟

فوجئت بوالدي يخرجني من مدرسة السلحدار لألتحق بمدرسة النيل !

طبعاً بسبب كثرة التدليل لم أتعلم شيئاً من هذه المدارس

التي كان نظرائها أصدقاء والدي . . الا أن أفاق والدي من هذه الحالة وأدخلني مدرسة خليل آغا الإبتدائية التي كانت البداية نحو الإلتزام والنجاح المستمر فكنت قد بلغت ١٠ سنوات وبدأت أتحمل المسئولية وأعتمد على نفسي وقررت أنني لا بد أن أنجح والحقيقة انني كنت شقياً جداً وكان المقربون من أسرتي لا ينتظرون نجاحاً لي مطلقاً من كثرة شقاوتي ولكنني علمت نفسي السياسة والأدب وكونت ثقافتي التي ساعدتني على نجاحي حتى اليوم أما الشيء الثاني الذي اعتز به جداً هو انني تحملت مسئولية أبي وأمي بعد تخرجي حيث عاش أبي معي وفسرت له كل مطالب الحياة ولم يعد يحمل همي وأنا سعيد لأنني وفرت لأبي كل أسباب الراحة بعد تخرجي . .

كذلك أيضاً بعد تخرجي بدأت أتفرغ لروز اليوسف، فلم تعد مضطرة لأن تستعين بأي مخلوق في الدنيا . . وكنت الوحيد القادر على تحمل مسئولية مجلة روز اليوسف والمضي بها قدماً نحو زيادة توزيعها وانتشارها . . تحملت المسئولية التحريرية . . وهذا أسعد روز اليوسف جداً لدرجة أنني كنت أتمنى أن تجلس في المنزل مثل بقية الأمهات ولكنها فضلت الإشراف على الإدارة في الوقت الذي كنت فيه مسئول مسئولية كاملة عن التحرير والسياسة . . وهذا بالتأكيد أعتز به جداً . . وكان والدي يقول لي عبارة لا أنساها « إنما الغنى هو الغنى عن الناس » .

ولهذا فقد كنت مستغنياً عن الناس دائماً . . رأيي هو المهم . . واقتناعي هو الأهم !

ولهذا لم أحتاج لأحد أبداً. . ولم أضعف أمام أحد مطلقاً. . وهذا نوع من أنواع النجاح .

ثم كان نجاحي على المستوى العائلي حيث تزوجت وكونت عائلة رغم المصاعب التي واجهتها هذه الأسرة في البداية حيث رفضت أمي وعائلة زوجتي هذا الزواج لحداثة سني فلم أكن قد بلغت ٢٢ عاماً ولم يكن مستقبلي قد تحدد بعد . . ولكن قاومنا كل المصاعب والعراقيل التي صادفتنا حتى اعترفوا بهذا الحب وهذا الزواج وأنجبنا محمد وأحمد وأصبح للعائلة أحفاد. . وأنا فخور بهذه العائلة التي استمرت بنجاح ٤٥ عاماً حتى الآن والحمد لله .

وقد أحسست بالنجاح الحقيقي حين قامت الثورة فقد كنت من أول المطالبين بها حين قررت الاعتماد على الجيل الجديد ورفضت التعامل مع الأجيال السابقة بكل شخصياتها. .

وقد تمكن الجيل الجديد من تحقيق الثورة بالفعل وأنا لا أدعي أنني قمت بالثورة ولكن من الذين ساهموا في التمهيد الأساسي لها وبعد قيامها. . بجهودي تكونت أول حكومة بعد الثورة .

وكنت أول كاتب يطالب بإعلان الجمهورية بعد الثورة. . . وكان هذا بالطبع بالإتفاق مع عبد الناصر والسادات وكنت على إتصال بهما فقد ظلت الثورة بعد قيامها محتفظة بالنظام الملكي فطالبت بالجمهورية وعقدت عدة مؤتمرات وندوات ناديت فيها وطالبت بإعلان الجمهورية. . وكانت الأغلبية في إحدى الندوات التي عقدتها تطالب ببقاء النظام الملكي وليس الجمهوري وكان منهم

د. وحيد رأفت.. ولكن انتصر في النهاية الرأي بإعلان النظام الجمهوري.

وأعتز أيضاً أنني كنت أكتب دائماً ما اقتنع به ولا يهمني الأشخاص فيما أكتب.. والحقيقة أنني كنت أقتنع بأشياء قد تبدو غريبة وجديدة أيامها ولكنني كنت أقدم عليها بجرأة شديدة منها كتاباتي ورواياتي الأدبية وقد تعرضت بسببها لهجوم شديد وكنت أول روائي تعرض أعماله في البرلمان وتناقش ويعترض عليها لكن رأيي واقتناعي بأن الأدب الذي أكتبه أبقى من هذا القيل والقال.. وقد صح رأيي واقتنعوا به في النهاية.

من الأشياء التي أعتز بها في حياتي انني استطعت أن أرفع توزيع جريدة أخبار اليوم حين تحملت مسئوليته الى مليون و٣٠٠ ألف نسخة.

وكان هذا أول مليون في توزيع جريدة في تاريخ الصحافة العربية كلها.. والفضل في هذا لا يعود الى شخصي فقط وإنما أيضاً لكل الشباب الذين التفوا من حولي وتعاونوا من أجل الإرتفاع بمستوى الجريدة.. كانت الروح عظيمة والحب والوفاء يرفرف على الجميع. فقد تسلمت أخبار اليوم الاسبوعية التي تصدر يوم السبت وكان حجم توزيعها ٢٧٠ ألف نسخة فارتفعت بها الى مليون و٣٠٠ ألف نسمة. وقد خصصت لأول مرة في تاريخ الصحافة المصرية صفحة كاملة للجرائم وقد ساهم ذلك في التوزيع بدرجة كبيرة ثم أصبحت صفحة الجرائم والحوادث من الصفحات المستقلة في كل الصحف والمجلات بعد ذلك.

إحسان عبد القدوس .. يثير الشغب الجنسي !

- عيب توفيق الحكيم أنه كان يحسب القوة الحاكمة !
- النائب الذي هاجم روايتي في مجلس الأمة لم يقرأ الرواية !
- اتهمت بأنني شيوعي ومنعتني أمريكا من دخولها حتى عام ١٩٦١ !
- رفضت أن أتحدث الى السادات بشأن الافراج عن ابني !
- العقاد اتهمني بأنني أديب الجنس لأنني رفضت اختياره زعيماً سياسياً !
- عبد الناصر قال لي : بلاش كلمة « الحب » في الاذاعة لمغزاها الجنسي !

● أستاذ إحسان عبد القدوس.. انت الوحيد من الأدباء الذي عرضت قصصك على البرلمان « أنف وثلاث عيون » بدعوى انها تخدش الحياء هل حقيقة حين تقدمت بقصتك الى المجلس الأعلى للفنون والآداب هل رفض توفيق الحكيم أن يكتب ورقة بوصفه رئيس المجلس يقول فيها ما قاله في مجلس الفنون والآداب من إشادة بقصة « أنف وثلاث عيون » وقال لك يومها : لا أكتب ورقة لأنني لا أعرف ماذا تريد الحكومة ؟!

●● هذا صحيح .. نقطة ضعف توفيق الحكيم دائماً بيني وبينه أنه كان دائماً يحسب حساب القوة الحاكمة.. القوة التي يمكن أن تسيطر عليه بحسب حسابها.. وما كان يمكن أن يتحرك إلا وهو معتقد تماماً أن القوة ليست موجودة . وحين قدم السؤال الى مجلس الأمة طلبت عقد لجنة القصة بالمجلس الأعلى للفنون والآداب وكان من أعضائها توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ومعظم كبار الأدباء.. وقد أحضرت لهم القصة وقلت لهم : أريد رأيكم سواء بالموافقة أو

الرفض وقال لي توفيق الحكيم : انني قرأت القصة وليست فيها شيئاً يمس أو يخدش الحياء بل هي قمة من قمم الإبداع الأدبي وامتدح القصة مدحاً غير طبيعياً . فقلت له بعد أن انتهى من كلمته : تسمح تعطي ورقة بهذا المعنى فإذا بتوفيق الحكيم يقول لي : لا . . لا أستطيع أن أفعل ذلك . . فقلت له : لماذا ؟! قال : احنا ليست لدينا أوامر . . قلت له : أوامر ايه . . هذه آراء شخصية فقال لي : لا نستطيع أن نعطي لك هذه الورقة لأننا لا نعرف رأيهم ايه . . وكان يعني بذلك الحكومة !! ولم يكتب توفيق الحكيم الورقة ! والواقع ان الحكومة لم يكن لها أي اتصال بهذا الاستجواب أو بالموضوع على الإطلاق .

● النائب الذي هاجم القصة وهو عبد الصمد محمد عبد الصمد . . هل حقيقة اعترف لك بعدها بأنه لم يقرأ القصة ولكن الظروف وقتها كانت « عايزة كدة » ؟!

●● أنور السادات كان وقتها رئيس مجلس الأمة وقبل أن يقدم السؤال اتصل بي وقال لي : يا إحسان أنا مقدم الى استجواب عن قصة « أنف وثلاث عيون » وأنا سوف أقدمه قلت له لماذا ؟! هذا موضوع أدبي وان هناك دوافع شخصية من بعض معارفي حاولوا إيذائي . . وقد استغلوا عبد الصمد محمد عبد الصمد والحكومة ليست لها مصلحة . . كل مصلحتها كانت أن تثير موضوعاً لتسلية الشعب ! . ولكن أنور السادات أصر على عرض الموضوع وقال لي عبد القادر حاتم أنا سوف أرد على هذا السؤال وقرأ لي الرد وأضفت

له جملة أو جملتين.تم إضافتها بالفعل . . ولقد فوجئت بعد ذلك بـأن عبد الصمد جـاء لزيـارتي في مكتبي حين رأى أن الأمـور لم تكن في مصلحته وقال لي : الواقع انني لم أقـرأ القصة مـطلقاً فقلت لـه لماذا قلت هذا الكلام . . قال أنا سمعت الناس بتتكلم !

● أستاذ إحسان عبد القدوس . . رغم أنك حاولت أن تكون متحرراً في مستقبلك دون أية قيود أسريـة إلا أنه لـوحظ تدخلك في مستقبل أبنائك محمد وأحمـد . . فلقد صممت عـلى أن يدخـل محمد كلية الحقوق مما عرضه للتأخر في التخرج منهـا وكنت مصراً عـلى أن يكـون « محـاميـاً » رغم أنـه نجـح صحفيـاً وأثبت وجـوده في هـذا المجال ؟!

●● أنـا على العكس أعـطي لأولادي محمد وأحمـد المسئوليـة الكاملة على الإعتمـاد على أنفسهم . . بحيث يبني كـل واحد نفسـه وشخصيته ومستقبله إلا بالطبع الشيء الذي يحتاجون فيه إلى رأيي .

محمد تأثر جداً بي وبالجو الأدبي والسياسي . . وقد نصحتـه في البداية أن يتخذ له مهنة غير الصحـافة لأن الصحـافة لم تصبـح مثل أيام زمان . وللعلم فإن « محمد » اختار كلية الحقـوق ـ لو أنـه تعب فيها أكثر مما تعبت أنا وكنت أنصحه بأن يعد نفسه لأن يصبح محامياً كبيراً ولكنه أصر على الصحافة . . وقد حدث يومـاً رأيته يعمـل في « أخبـار اليوم » وأنـا أعمل في أخبـار اليوم . . وأصبحت في مشكلة كيف أعـامل ابني ؟؟ . . لـو نزلت لـه خبر يقـولـون عشـان خـاطـر ابني ! . . لـو قلت شيئـاً يقـولـون هـو الـذي كتب الخبـر لا ابنـه !

فأحضرت الصديق سعيد سنبل وقلت له : اسمع أنت مسئول مسئولية كاملة عن محمد . . وأنا لن أتصل به . . وأصبح طول ما هو في الأخبار لا يتصل بي أبداً . . وأنا غير راضي عن اتجاه محمد الآن وهو انه ينتمي الى حزب . . أنا دائماً كنت أحرر نفسي من جميع الأحزاب . . كنت أعتبر نفسي أكثر حرية بالتحرر من كل التنظيمات .

● ولكن مع ذلك اتهمت بأنك « شيوعي » ومنعت أمريكا دخولك اليها في عام ١٩٦١ ؟!

●● مسألة أنه قيل عني أنني شيوعي تتلخص في أنه كان هناك صديقاً لي اسمه بكر حمدي سيف النصر عمل تنظيم ماركسي وجاء يرجو أن أنضم الى هذا الحزب وبعد ٣ شهور اختلفت معهم لأنني كنت أقرأ كارل ماركس على قدر اقتناعي ـ كان قد عدم اقتناعي واختلفنا حول كارل ماركس وكان هذا سبباً في طردي من هذا التنظيم . . أما ان أمريكا منعت دخولي اليها فهذا لأنها كانت معتقدة أنني أفتح صفحات روز اليوسف على مصراعيها لكل الماركسيين على حسب ما يقدمونه على اعتبار أنهم ثوريين . . وأمريكا لم تكن تعتبرني ماركسياً فقط بل رئيساً للتنظيم الماركسي في الشرق الأوسط كله . . ومن أجل ذلك منعوني من دخول أمريكا . . الغريب أن امريكا حين اعتذرت لي وأرسلت لي دعوة رسمية لزيارتها أصبح الآن الاتحاد السوفيتي في قطيعة معي ولم يوجه لي أي دعوة رسمية !

● أستاذ إحسان عبد القدوس. . هناك صورة لا تبارح ذهني. . الرئيس أنور السادات وهو يسلم عليك في إجتماع عام في أعقاب القبض على ابنك « محمد » ودخوله السجن السياسي والسادات يربت على كتفك .

●● أنور السادات كان صديقاً شخصياً ولمدة طويلة جداً ولو أنني لم أكن أعرف كل أسراره إلا أنه كانت هناك صداقة عائلية واختلفت معه في الرأي فيما يتعلق بالإتفاقية مع إسرائيل وتباعدنا. . ثم فوجئت في الآخر بأنه قبض على ابني « محمد » فرفضت أن أتحدث مع السادات بشأن ابني. . أو أرجو أي مخلوق للافراج عن ابني. . وامه طبعاً كانت في حالة غير طبيعية مثلها في ذلك مثل أي أم أخرى .

استمر الحال إلى أن قابلت الرئيس السادات بالصدفة في الإجتماع. . وأنا ذهبت للاجتماع لأنني عضواً في الهيئة صاحبة الاجتماع. . وقد قررت بيني وبين نفسي ألا أتحدث اليه وتعمدت أن أجلس في المقاعد الأخيرة وفجأة والرئيس السادات خارج من الاجتماع توجه نحوي وسلم علي وقال لي:

« ابنك طالع لأبوه فقلت له : طالع لأبوه. . ليه ؟! ما يمكن طالع لعمه » « أقصد عمه السادات » ثم قلت له : انت اتحبست أكثر مني ودخلت السجن أكثر مني. . وأنا أعتقد ان محمد يعاني الآن الذي نحن عانيناه. . وانني واثق أنه لن يصيبه أي تعذيب أو أي شيء مبالغ .

فقال لي السادات : طبعاً لن يصيبه شيئاً . . والحقيقة أن السادات ترك محمد في السجن ولم يفرج عنه . . وطبعاً أفرج عن محمد في آخر الأمر .

● أستاذ إحسان عبد القدوس . . انت عارضت في زواج ابنك « أحمد » من ممثلة سينمائية شهيرة وطلقت منه رغم أن هذه الفنانة كانت على استعداد لأن تعتزل الفن والسينما في سبيل حبها لأحمد . . لماذا رفضت رغم أن أسرتك عارضت في زواجك انت وكنت مصمماً على نجاحه . . ولا تنسى أن والدتك كانت أيضاً ممثلة ؟!

●● أنا معارضتي ليست على أساس أنها ممثلة . . ولكن على أساس أنه كان لا يزال طالباً في كلية الهندسة .

وهناك فرق فأنا لم أتزوج إلا بعد حصولي على الليسانس . . وكان رأيي أنه ليس من حقه أن يقدم على أية خطوة إلا بعد الإنتهاء من دراسته . . يحدد شخصيته الأول ثم يصبح حراً فيما يراه بعد ذلك . . ولم يكن الرفض متعلقاً بشخصية الممثلة بالعكس أنا أكن لها كل الاحترام . . . ولم يكن من الممكن أن أوافق على زواج أبنائي قبل حصولهم على شهاداتهم الجامعية ولم أشتري لهما السيارة إلا بعد التخرج . . وهذا كان شرطي لهما . وأنا فخور الآن بإبني أحمد الذي تخرج من أمريكا وعمل هناك لفترة وكان من رجال الأعمال في أمريكا وافتتح لشركته فرعاً في القاهرة الآن .

● أستاذ إحسان عبد القدوس . . انت متهم بأنك تثير

الشغب الجنسي في رواياتك. . هل هذا تأثراً بأوسكار وايلد في أدب الجنس الذي تحدى المجتمع بالصراحة في التناول. . ووصل بـأدبك الحال الى أن وصفه العقاد بأنه « أدب الفراش » ؟!

●● أنـا لا أعترف مـطلقاً بـأن الجنس هو موضوع قصصي مطلقاً ولكن كل الذي حـدث أنني تحملت مسئوليـة التطور في أدب القصة العربية. . انت يمكن تقرأ قصصاً وتقارنها مـع الأدب العالمي الراقي ستجد أننا متأخرين للغاية نتيجة التقاليد البالية والتفسيـرات الاجتماعية القديمة فـأنا حـاولت وكانت لـدي الجرأة أن أطـور هذا الأدب وأكشف الواقع كما هو ليس إعتماداً على مشهـد جنسي ولكن عـلى موضـوع متكـامـل. . وكـان هنـاك من يتعمـد محـاربتي ومنهم العقاد. . والعقاد بيني وبينه شيئاً عجيبـاً ولو أنني أحبـه جداً وأقـدره تقديراً كبيـراً ولكن الذي حـدث وأنا صغيـراً أيام ثـورة الثلاثينـات جاءني الطلبـة وسألـوني : أنتم ترفضـون الآن الوفـد. . من هو إذن الحـزب الشعبي ؟ من هو الـزعيم الـذي تؤمن بـه ؟! وأنـا الحقيقـة تحيرت بماذا أجيب ؟! فذهبت للعقاد وكـان يومهـا الكاتب الأول في روز اليـوسف وقلت لـه : من هـو الـزعيم ان لم يكن مصـطفى النحاس أو غيره . . من الزعيم ؟! فحدجني العقاد بنظرة لا أنساها وقال لي بصوته المعروف : يعني مش عارف مين الزعيم ؟! . . طبعاً كان يقصد أنـه هو الـزعيم انني يجب أن أذهب الى الطلبـة وأقودهم بالهتاف لعباس العقاد. . طبعاً رفضت هذا المـوضوع وكـانت ثورتي عـارمة عليـه وكنت صغيراً ثم أصبحت بعـد ذلك أقـابله ونضحك سوياً ولكن من يومها وهو دائماً ليس على ثقة فيّ بالنسبة له لأنني دائماً

ليس موافق على كل اتجاهاته . . . حتى قبل أن يقول أدب الفراش وأدب الجنس . . قال عني أني شيوعي وقابلني ذات مرة في آخر ساعة في الأربعينات وقال لي : انت تبطل شيوعية . . إبعد عن الشيوعيين . . . أنا باقول لك من الآن ولم أكن شيوعياً ولا غيره . . وما ان كتبت قصصاً حتى خرج العقاد بعبارته « هذا هو أدب الفراش » والحقيقة أنا أخذتها على أنه غير راضي عني أبداً في كل ما أكتبه نتيجة أنني أعارض أشياء كثيرة ولا أستسلم أبداً لإرادته .

● أستاذ إحسان عبد القدوس . . كنت تقدم برنامجاً في الإذاعة تختمه بقولك « تصبحوا على خير . . تصبحوا على حب » .

لماذا توقف هذا البرنامج . . هل حقيقة أن عبد الناصر استدعاك وقال لك بلاش كلمة « حب » لأن لها مغزى جنسي ؟؟

●● كنت أنهي كل حديث بقولي « تصبحوا على خير . . تصبحوا على حب » فهاجموني المشايخ وقيل لي يومها : قصدك أيه تصبحوا على حب . ان كل واحدة ضاجع سيدة أو اغتصبها قبل أن يصبح صباحاً ! ! !

حاولت أن أدافع عن نفسي . . لغاية ما قال لي جمال عبد الناصر : بلاش كلمة الحب دي . . خليها تصبحوا على محبة ! ! قلت له أبداً . . أقول كلمة الحب أو لا أتحدث في الإذاعة مطلقاً . . وفعلاً لم أتحدث في الإذاعة من يومها ولكن المدهش بعدها أن عبد الناصر بدأ يستعمل في خطبة كلمة الحب . . الحب ارتفع معناه الى المستوى العام ارتفاعاً كبيراً وبذلك أكون قد أديت خدمة كبيرة وهي وضع

كلمة الحب في معناها الصحيح الشامل.. فهدفي هو تطوير المعاني.. فأنا أريد أن أقول للناس أن الحب ليس هو الجنس.. فالحب أكبر من ذلك بكثير ودائماً ما أقول الحب هو الله وهو الوطن وهو الإنسان.. يعني الإنسان يحب ربنا ويحب بلده.. والناس من حوله هذا هو الحب وليس الحب هو الجنس.

***

● هل استاء عبد الناصر من قصتك « البنات والصيف » وأبلغ هيكل استيائه من القصة لأنها تخدش الحياء العام ؟!

●● لا.. عبد الناصر كان مولعاً بقراءة القصص وهذا أدهشني كثيراً.. يعني كان يقرأ القصص بنفسه.. ويقرأها من أجل المتعة وكان لديه استعداداً أن يرفع سماعة التليفون ويوصي مدير التليفزيون على تحويلها الى تمثيلية أو مسلسل تليفزيوني أو فيلم.. عبد الناصر كان حقيقة يحب القراءة ولكن بعض الرجعيين كانوا يضغطون عليه بدعوى أن قصصي تخدش الحياء وما شابه ذلك.

وذات يوم قال لي جمال عبد الناصر عن قصة « البنات والصيف ».

ـ انت زودتها شوية يا إحسان في قصصك.. ما تبقى تحاسب شوية !

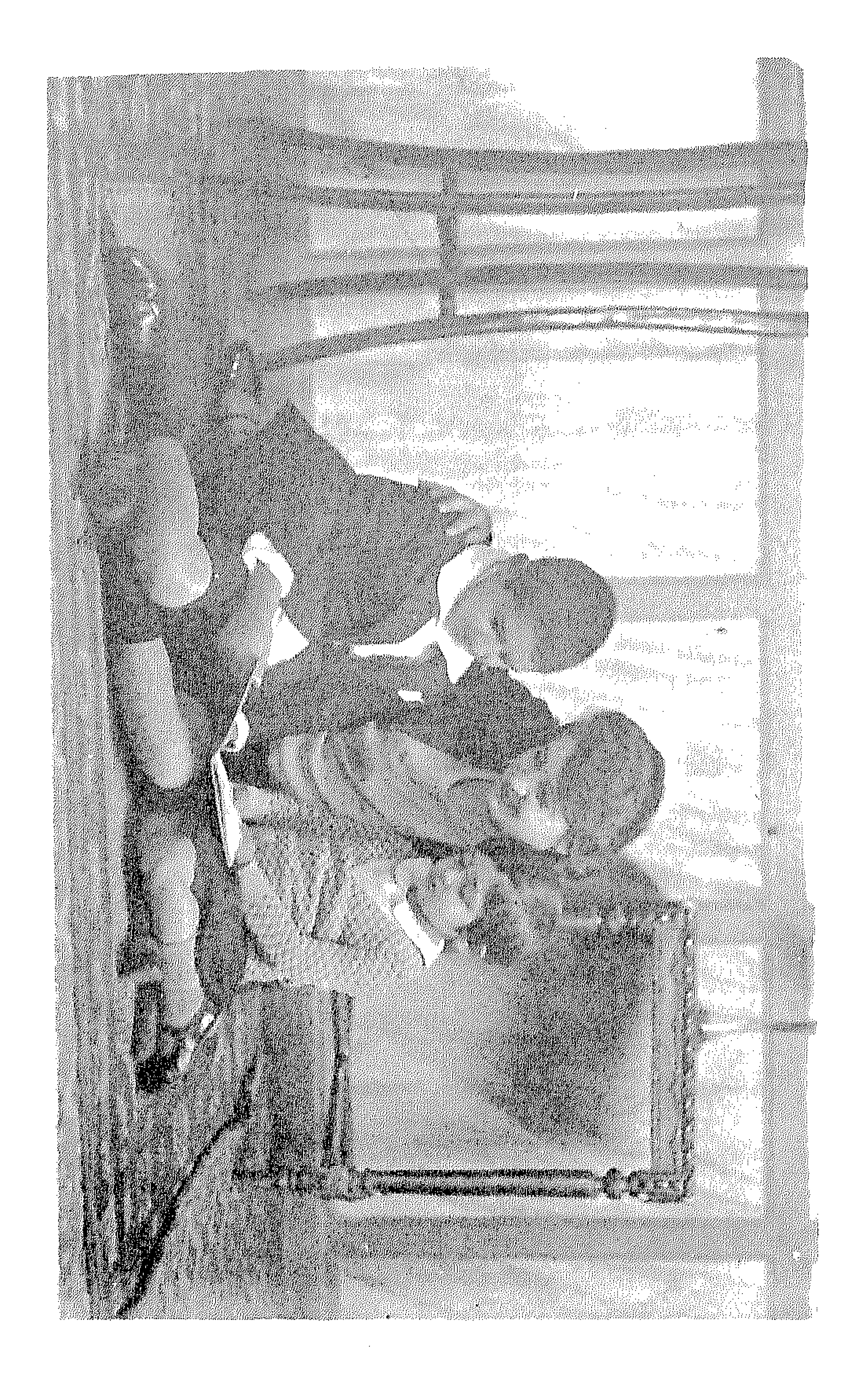
انما الحقيقة عبد الناصر لم يفرض علي عقوبة ولم يمنعني من كتابة القصص والروايات.

وانتهى الحوار . .

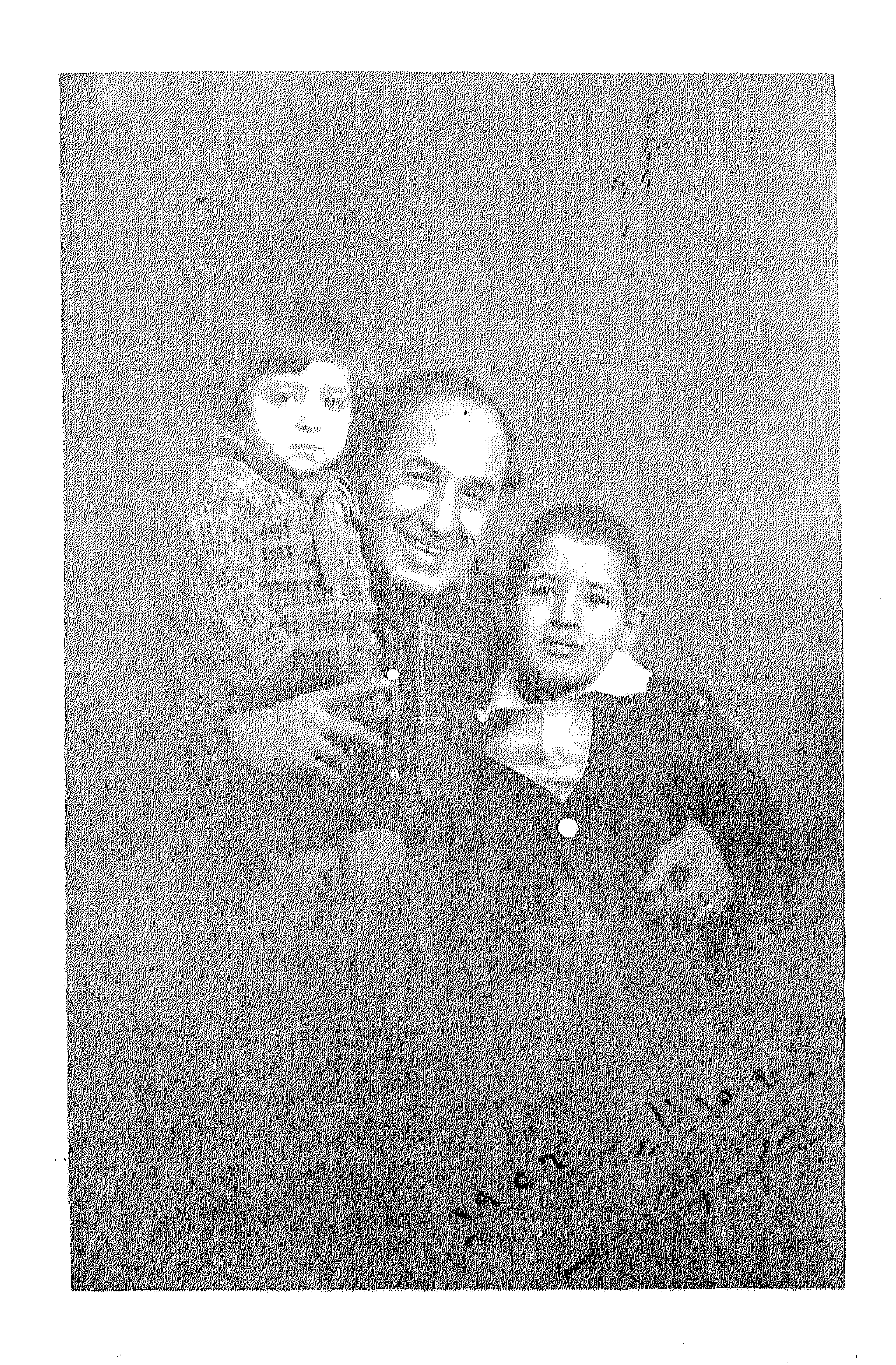
رحلة العمر في صفحات .

أدق الاسرار في سطور وأرق المشاعر في كلمات وتركت الكاتب الكبير يواصل رحلته مع الكتابة على ضفاف النيل العظيم . . وإذا كان الاغتيال السياسي والشغب الجنسي أكثر الجوانب تعلقاً بالأذهان ضفافاً لتحيي احسان عبد القدوس فإن هذا الحوار كان بلا ضفاف . . وبلا حدود لنهر الكاتب المتدفق !

شريط ذكريات إحسان عبد القدوس بالصور



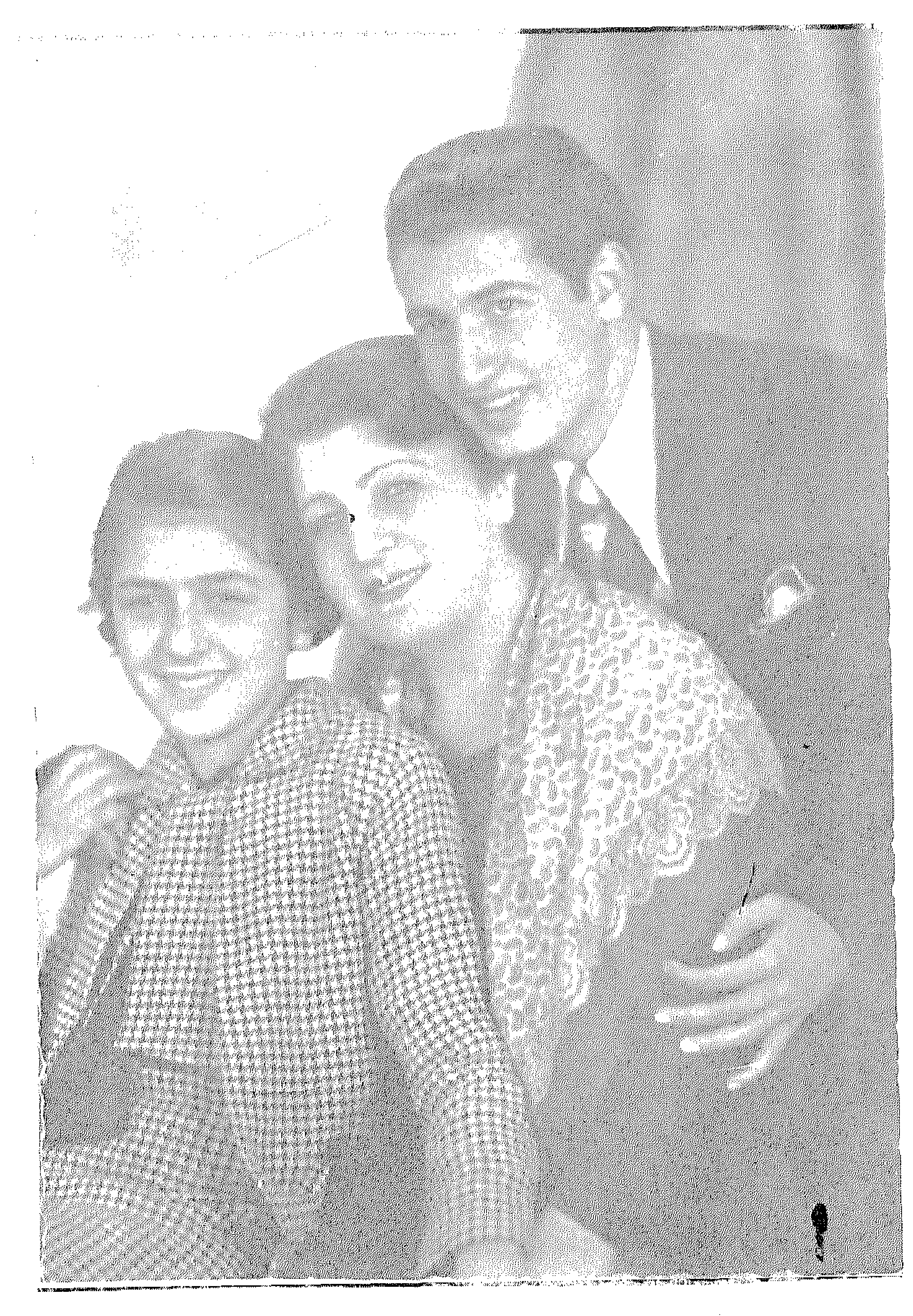
. روز اليوسف بين إحسان وشقيقته . . قال إحسان عن أمه أنها شخصية أسطورية وحالة استثنائية . . تجربة مستقلة !



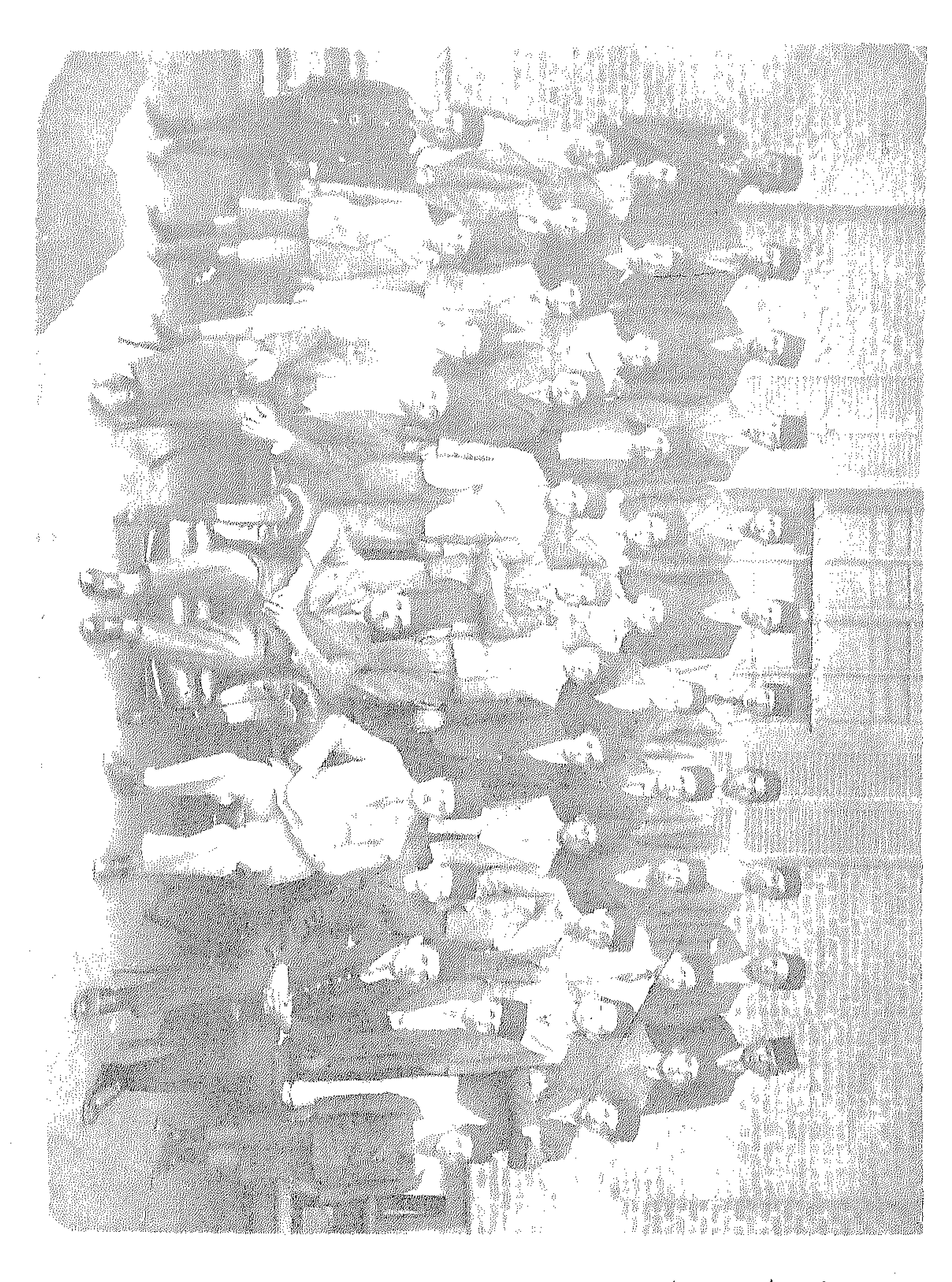
- إحسان في طفولته مع أبيه الفنان محمد عبد القدوس وشقيقته الصغرى .



- إحسان وأخته الصغرى من امه روز اليوسف (آمال طلميات) أغسطس ١٩٣٣ .



- روز اليوسف بين ابنها إحسان عبد القدوس وأخته الصغرى « ميمي »
« آمال طليمات »



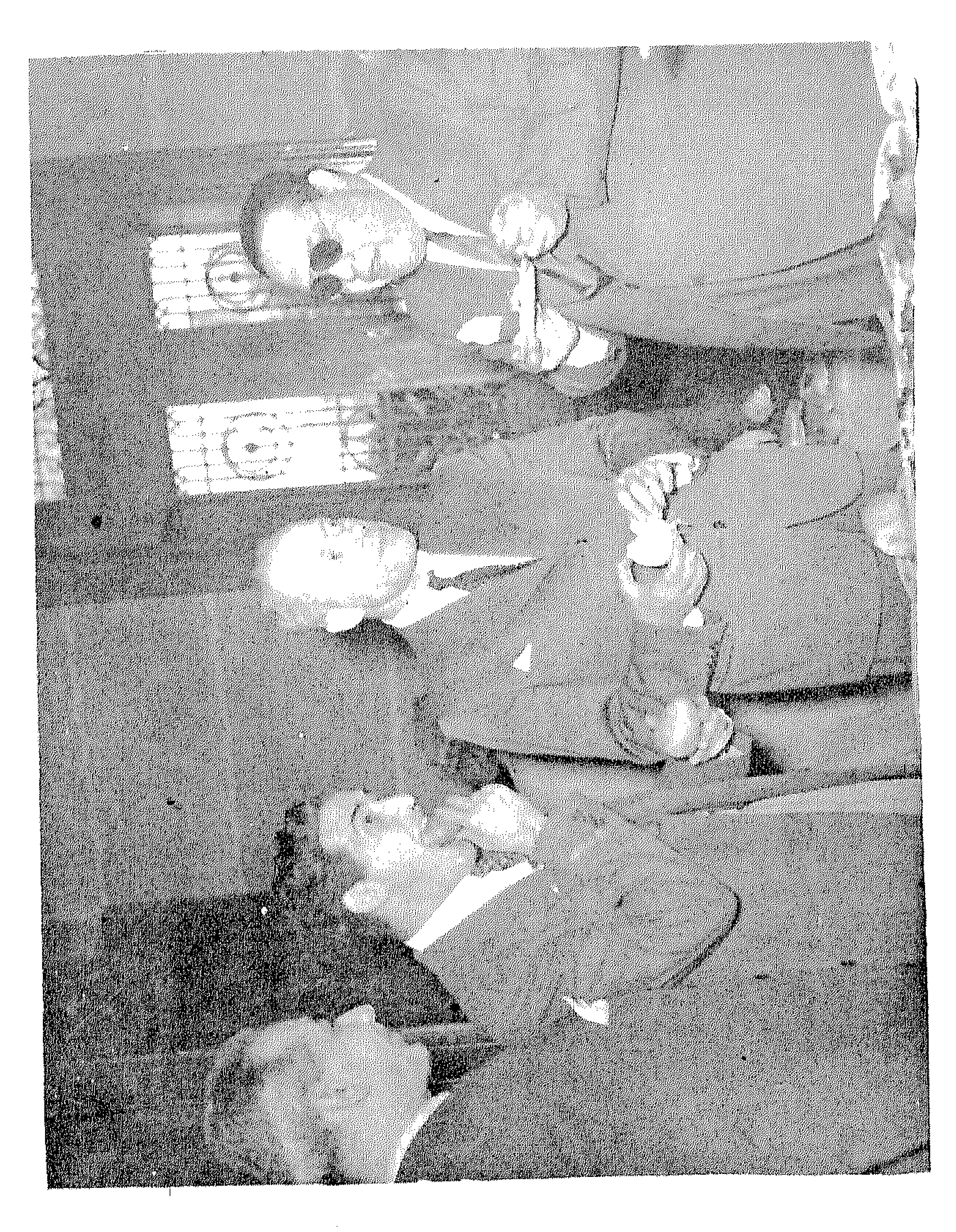
- إحسان عبد القدوس في صورة تذكارية في المدرسة وهو السابع من اليمين في الصف العلوي .. لا يزال يتذكر أسماء زملائه في المدرسة حتى الآن !



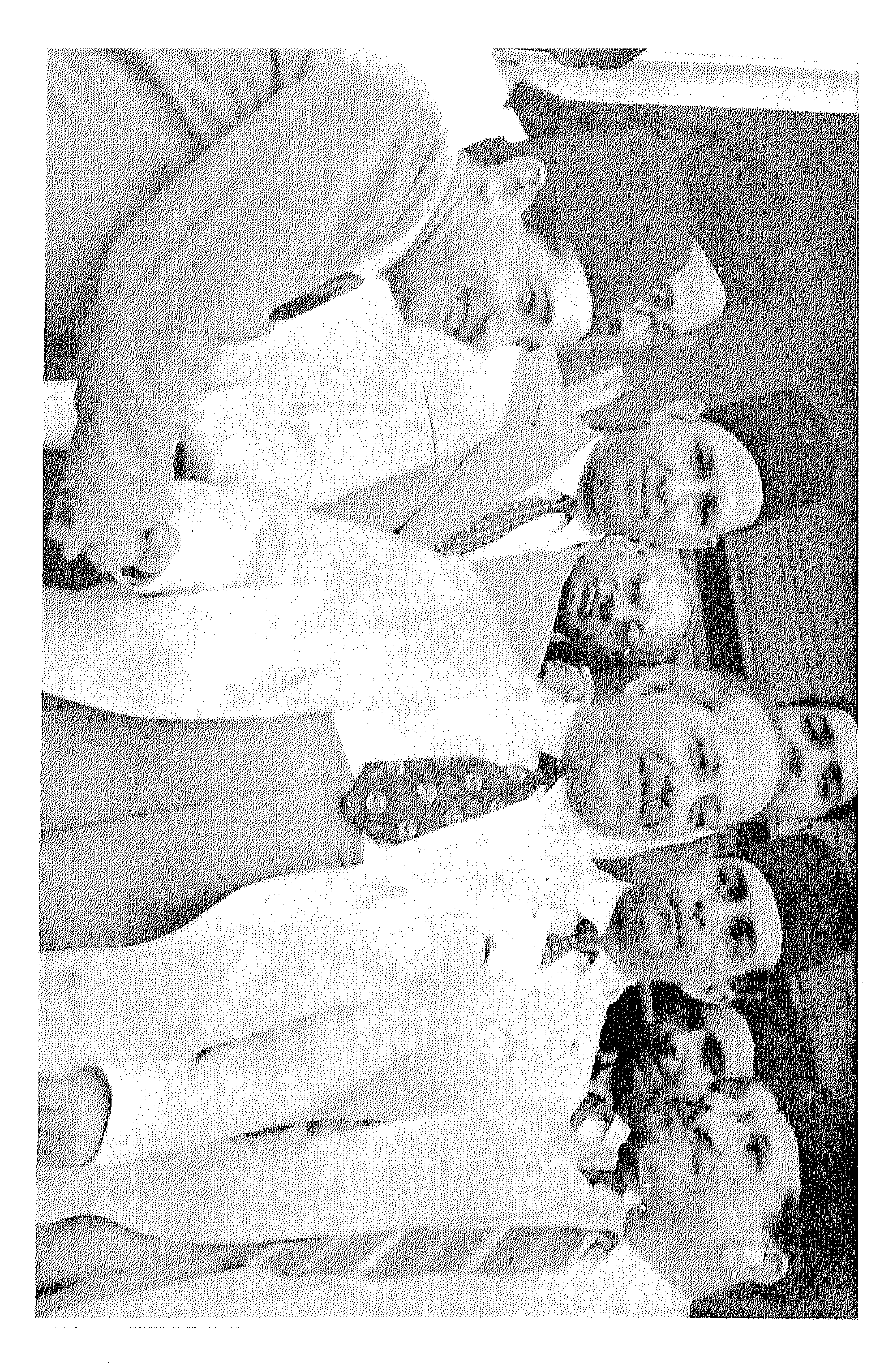
ـ إحسان يحتضن شقيقته وعريسها في حفل ضم الأسرة التي افترقت



- إحسان عبد القدوس وزوجته السيدة « لولا » حبك الأول هو حبك الأخير مع الاعتذار له.. قصة حب لم يكتبها بعد.. تزوجا في السر في منزل التابعي لأن الأسرتين رفضتا الزواج في البداية !



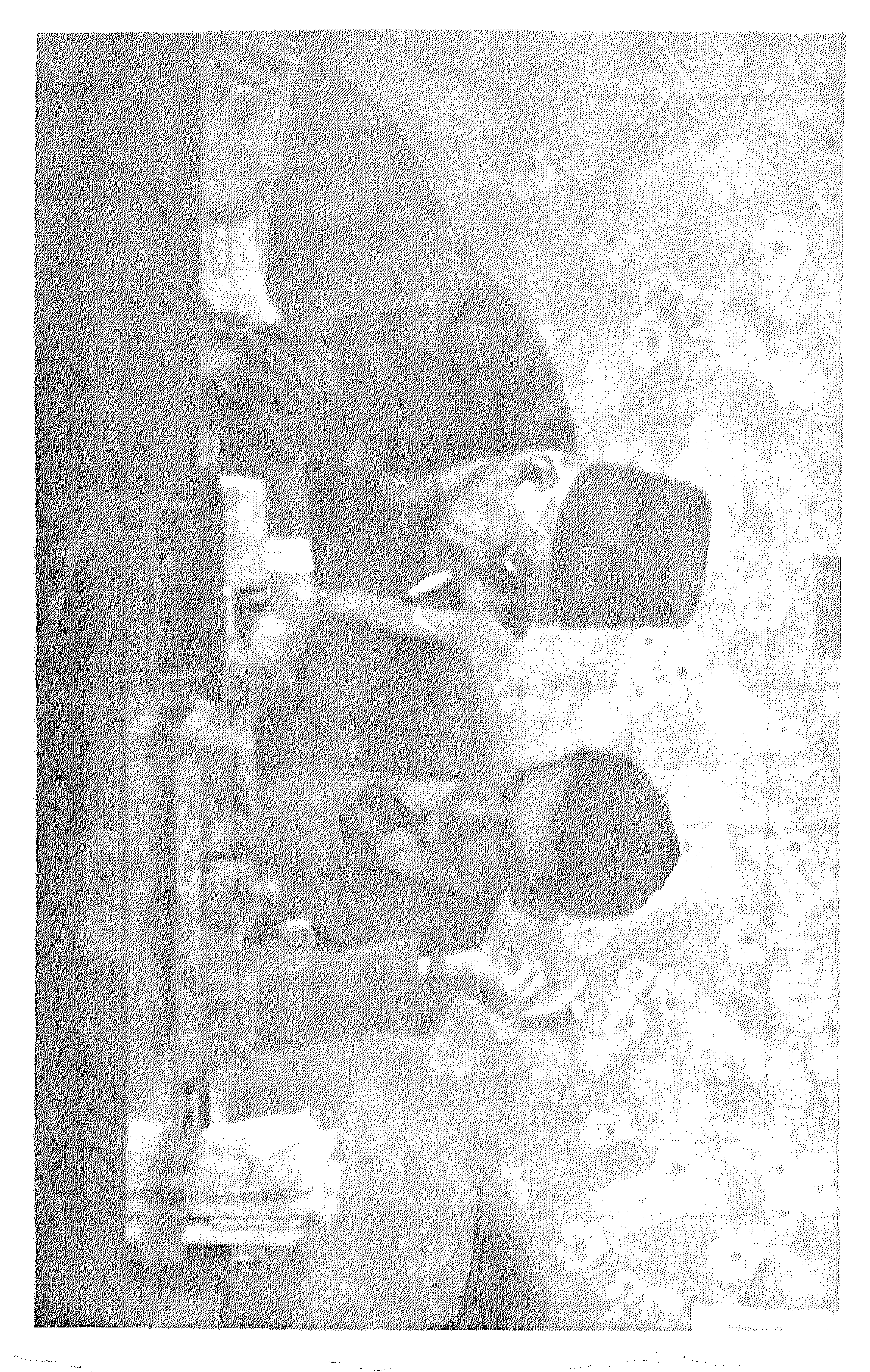
ـ مسابقة في الأكل بين إحسان وكامل الشناوي !



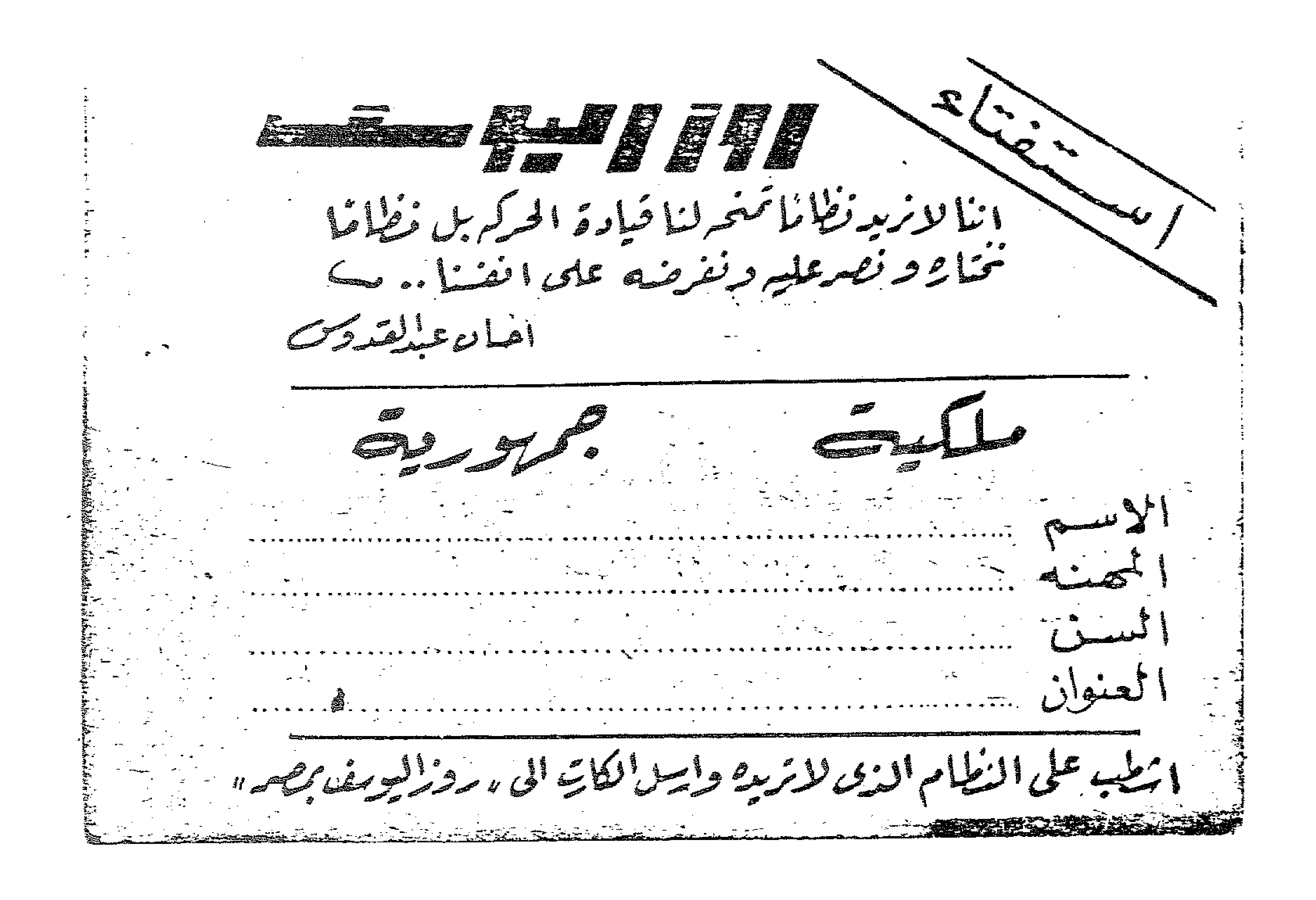
ـ إحسان عبد القدوس يصافح محمود فهمي النقراشي ورغم أنه كان صديقاً لأمه السيدة روز اليوسف إلا أنه كان أول من أدخله السجن !



ـ إحسان عبد القدوس في صدر شبابه بجانب علي مـاهر . . كـان إحسان هـو أول من اقترح عـلى عبد النـاصر اختيار عـلي ماهـر رئيسـاً لأول وزارة بعد الثورة .



ـ إحسان عبد القدوس يستمع الى ملاحظات الصحفي حبيب جماتي .



استفتاء

اننا لا نريد نظاما تمنحه لنا قيادة الحركة بل نظاما نختاره وننص عليه ونفرضه على انفسنا .. س

احسان عبد القدوس

ملكية — جمهورية

الاسم ....

المهنه ....

السن ....

العنوان ....

اشطب على النظام الذى لا تريده وارسل الكارت الى «روز اليوسف بمصر»

ـ كان إحسان عبد القدوس هو أول من طالب بإقامة « الجمهورية » وطالب بإجراء استفتاء عليها .



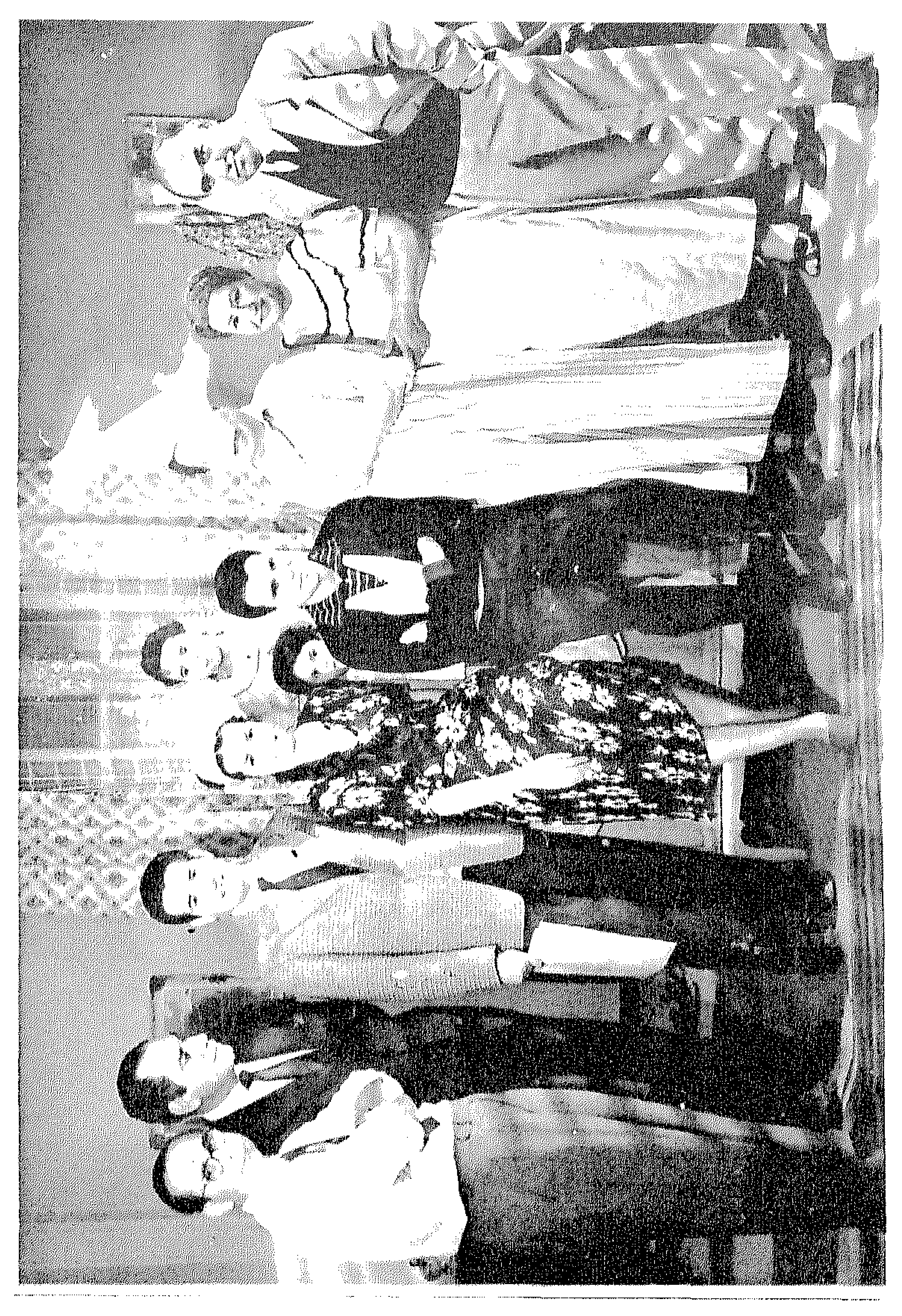
ـ إحسان في حفل استقبال الأمير فيصل (ملك السعودية السابق) في زيارته لمصر ومعه أنور السادات وعبد الحكيم عامر وأحمد بهاء الدين وعلي حمدي الجمال .



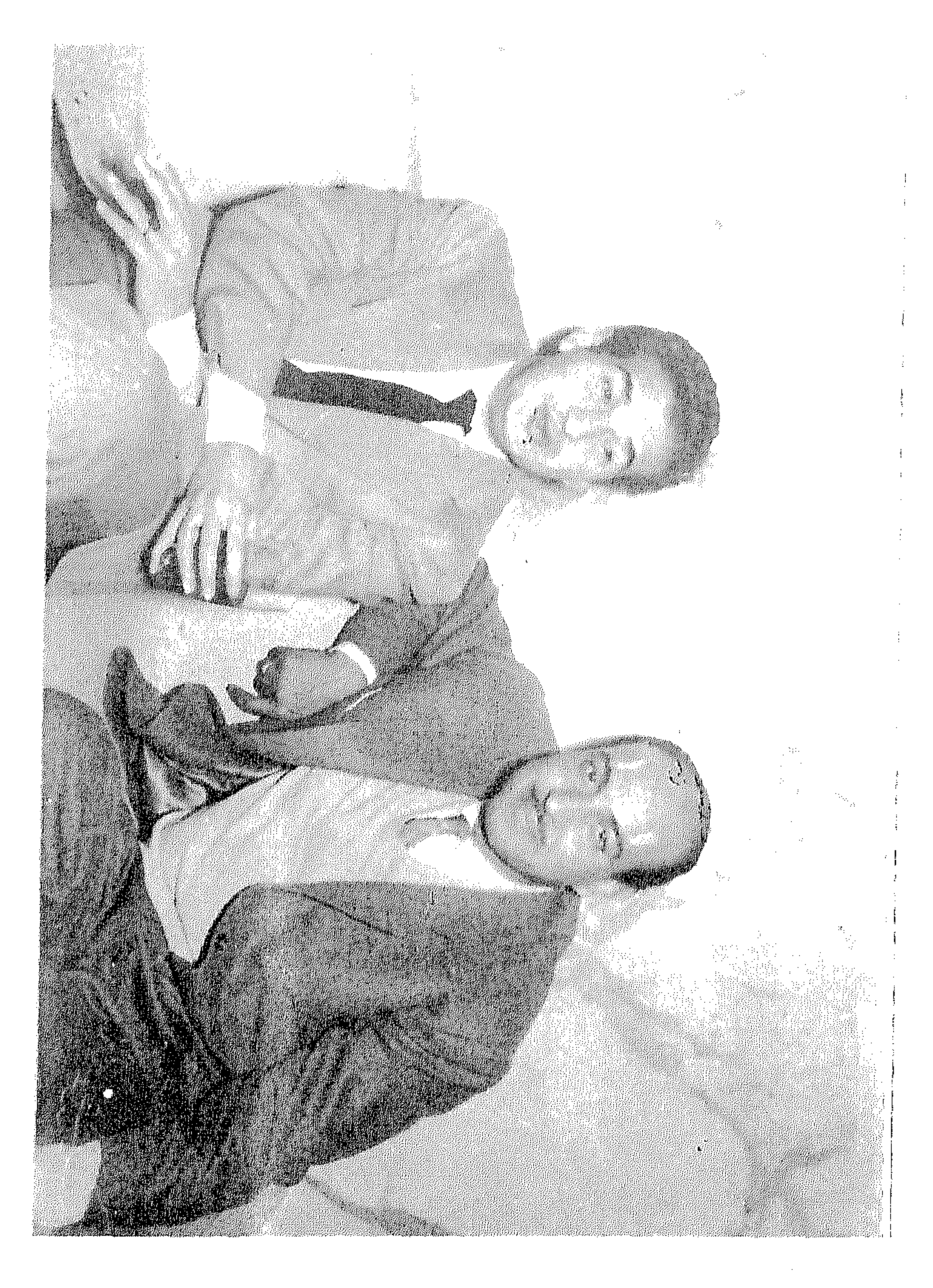
ـ السيدة « لولا » زوجة إحسان في إحدى السهرات الذي قد لا تعرفه أن حقيبـة اليد التي أمـامها بهـا مسدس كـانت تشهره عنـد خـروجهـا في الشارع تحسباً لأية محاولة اغتيال لزوجها !



ـ إحسان عبد القدوس (بالشورت) في إحدى زياراته للهند !



ـ إحسان قبل تصوير إحدى أفلامه التي قام ببطولتها عبد الحليم حافظ . .
في أول لقاء بينهما رفض إحسان الإستماع الى عبد الحليم فجلس مع
أولاده في الكابينة على البحر !



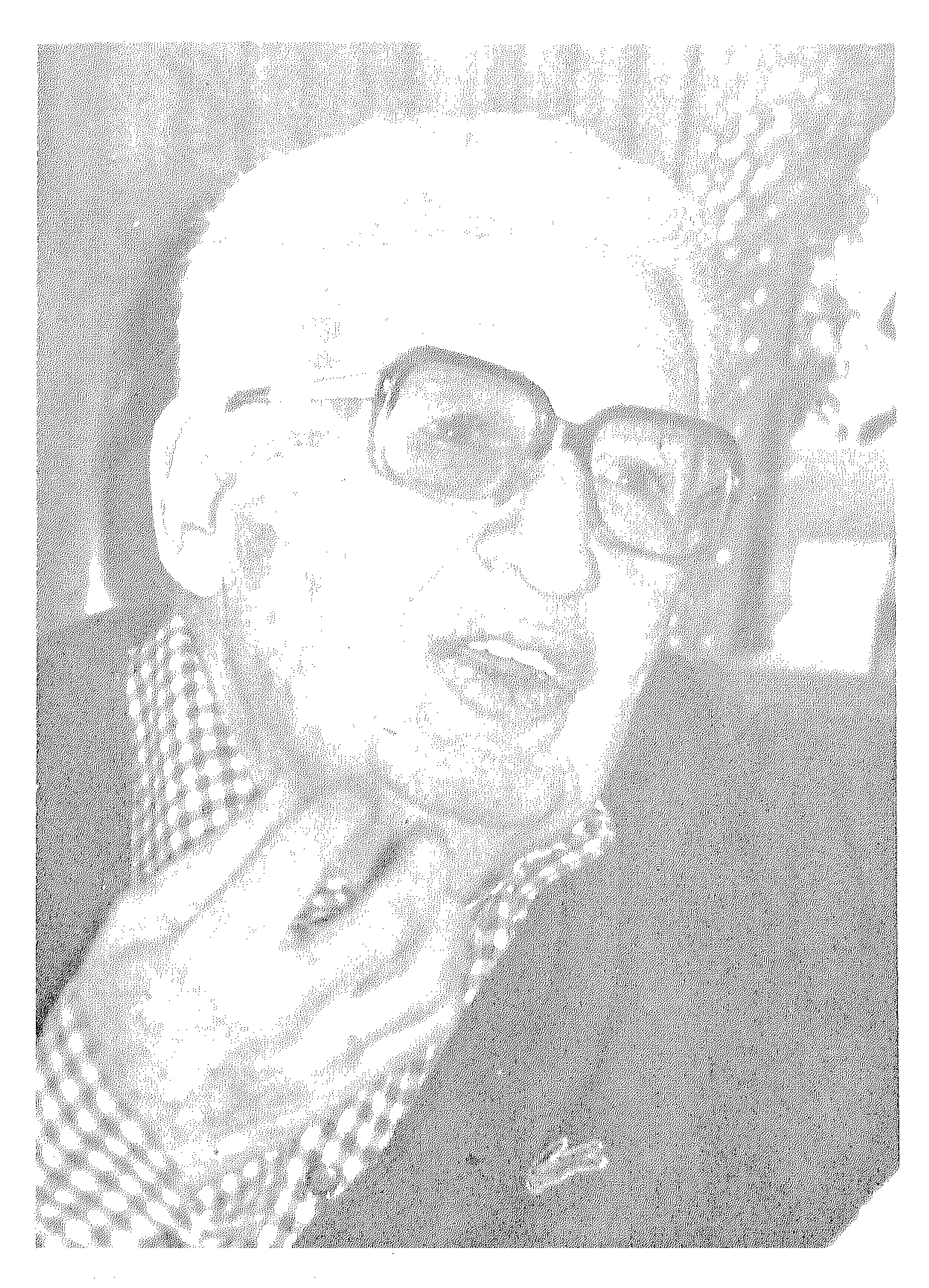
ـ كمال الطويل من أعز أصدقاء إحسان.. استعرض من خلاله قصة « شيء في صدري » فكان اسم البطل في الفصل الأول كمال الطويل واحتج كمال فشطب اسمه في الفصل الثاني !



- إحسان عبد القدوس أثناء كتابته لقصة « البنات والصيف »



- إحسان أثناء اشتراكه في غارة جوية في حرب اليمن عام ١٩٦٢ لاجراء تحقيق صحفي ومن رأيه إن حرب اليمن كانت بداية النهاية لنكسة ١٩٦٧ .



ـ عبد الناصر اعتقلني ثلاثة أشهر في السجن الحربي ثم كان يدعوني للعشاء يومياً !



- في حفل زفاف صغرى بنات السادات إحسان وزوجته وفاتن حمامة يقدمون التهنئة .



ـ الابتسامة لا تفارق شفاه إحسان القدوس وأنور السادات صداقة امتدت أربعين عام تخللتها أصعب المواقف.. سجن السادات ابن إحسان !



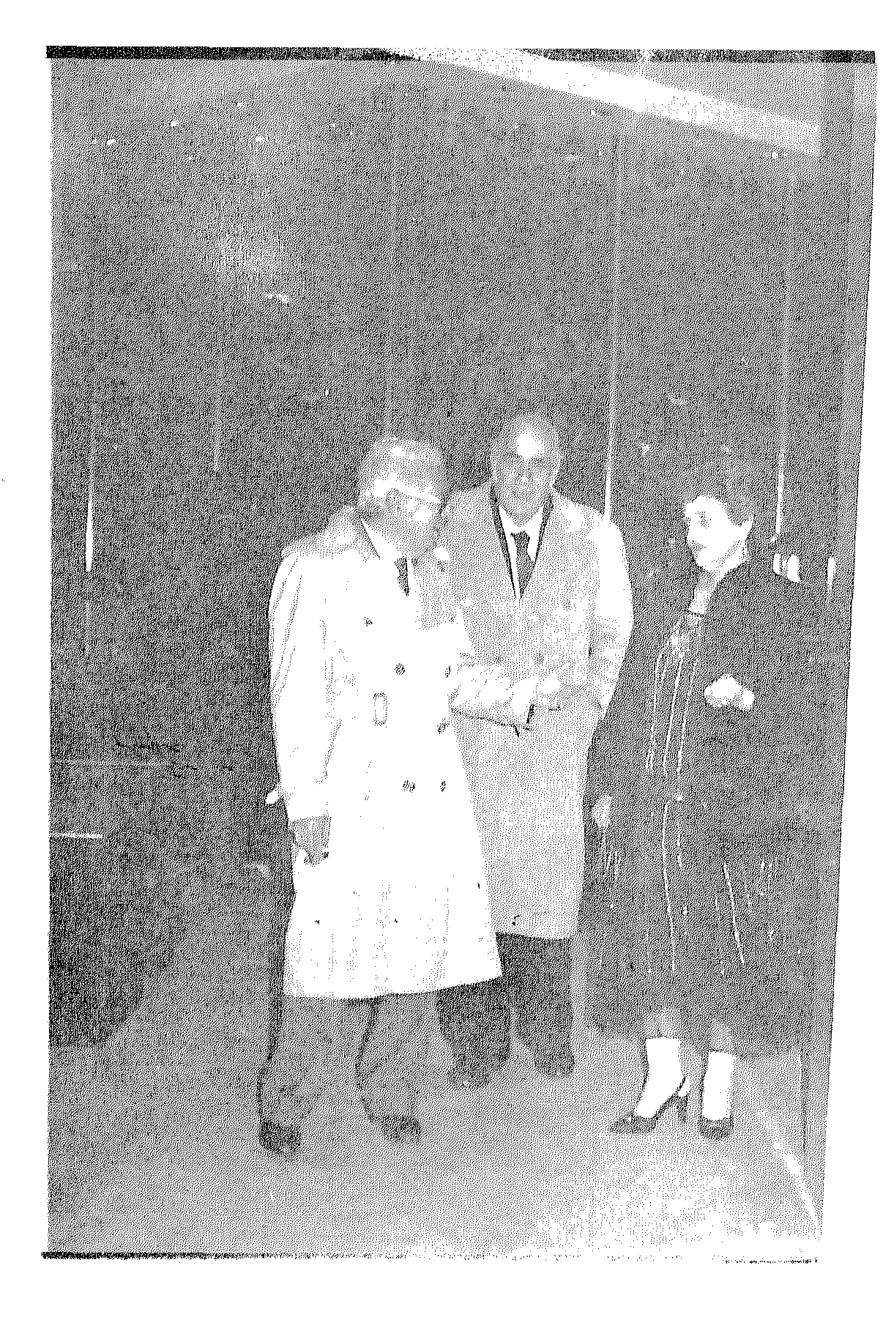
- حوار بين إحسان والسادات . . طلب السادات من إحسان أن يكتب رأيه بصراحة في إحدى خطبه بعد أن صارحه به ولما كتبه أبعده عن الأهرام في نفس اليوم .



ـ إحسان عبد القدوس منهمكاً في الكتابة. . ونفس عميق من سيجارة الكوبي. . طقوس ابداعه . . الاستغراق في هدوء والتأنق كأنه في حفلة حتى ولو كان في منزله !



ـ الكرة في ملعب إحسان عبد القدوس لتسجيل هدف في أحد أحفاده !



ـ إحسان في حوار مع الكاتب الكبير مصطفى أمين وزوجته السيدة ايزيس طنطاوي . .



ـ الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس يقول للمؤلف محمود فوزي . .
جرى ايه . . دي مش أسئلة . . دي ألغام !

فهرس

كتب المؤلف

١ ـ صهيونيون حتى أطراف أصابعهم ، (طبعة أولى) ١٩٧٣ .
الشركة المتحدة للتوزيع (طبعة ثانية) ١٩٧٧ دار الإعتصام
٢ ـ يائيل العين اليمنى لديان (منشورات بيروت) عام ١٩٧٤ .
٣ ـ كامو . . المتمرد الأزلي (المكتبة العربية) ١٩٧٥ .
٤ ـ مالرو . . الحب الصامت (منشورات بيروت) ١٩٧٦ .
٥ ـ الأدب الابنوسي (دراسة في الآداب الأفريقية) .
٦ ـ نجيب محفوظ ـ رؤية نقدية ١٩٧٧ .
٧ ـ ثروت أباظة . . الفلاح الأرستقراطي (نهضة مصر بالفجالة) ١٩٧٧ .
٨ ـ رؤية نقدية في الرواية العربية ١٩٨٢ .
٩ ـ عيون نقدية ١٩٨٤ .
١٠ ـ أنيس منصور . . ذلك المجهول (دار التعاون للطبع والنشر) ١٩٨٦ . الطبعة الثانية (مكتبة مدبولي) ١٩٨٨ .
١١ ـ رشاد رشدي (بالإشتراك) (الهيئة العامة للكتاب) ١٩٨٧ .

١٢ ـ أدب الأظافر الطويلة (نهضة مصر بالفجالة) ١٩٨٧ .
١٣ ـ توفيق دياب . . ملحمة الصحافة الحزبية (الهيئة العامة للكتاب) ١٩٨٧ .
١٤ ـ الاسلام . . كتاب مفتوح « مكتبة التراث الإسلامي » ١٩٨٧ .
١٥ ـ البيوت تنهار ليلاً « رواية » مكتبة مصر ١٩٨٨ .
١٦ ـ حوار على نار هادئة « دار الكتاب المصري » ١٩٨٨ .
١٧ ـ « ثوار يوليو يتحدثون » « الزهراء للاعلام العربي » ١٩٨٨ .
١٨ ـ احسان عبد القدوس بين الإغتيال السياسي والشغب الجنسي « مكتبة مدبولي » ١٩٨٨ .

هذا الكتاب

الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس أكثر الكتاب تعرضاً للإغتيالات السياسية فقد تعرض أربع مرات للموت المحقق . .

ولقد اصطدم إحسان عبد القدوس على جمال عبد الناصر فاعتقله ثلاثة أشهر في السجن الحربي عام ١٩٥٤ بسبب المقالة التي كتبها بعنوان : « الجمعية السرية التي تحكم مصر » . أما السادات فقد سجن ابنه وقال له إحسان تعليقاً على إحدى خطبه : هذا معناه حكم عسكري فأبعده عن الأهرام ! .

وإحسان عبد القدوس في الوقت نفسه أكثر الكتاب إتهاماً بإثارة الشغب الجنسي في رواياته . حتى ان الأديب الكبير عباس محمود العقاد وصف أدبه بأنه : « أدب الفراش » . وهو الكاتب الذي عرضت قصته « أنف وثلاث عيون » أمام مجلس الأمة لمنع تداولها على اعتبار أنها تخدش الحياء العام !

والكاتب الأديب محمود فوزي بحواره الساخن وجرأته المعهودة وأسلوبه السهل السلس يفجر مع الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس قضايا ممنوعة ويشعل ذكريات وأسرار تروى لأول مرة في السياسة والفكر والأدب والصحافة . لدرجة أن كاتبنا الكبير إحسان عبد القدوس صرخ بعد نهاية الحوار قائلاً : انها ليست أسئلة . . انها ألغام ! !

مكتبة مدبولي
القاهرة